المجتمع

الداعية العصري

مجموعة مؤلفين

الداعية العصري

كل الحقوق محفوظة

المجتمع

الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة - الرمز البريد (١٣٠٤٩)
الموقع الإلكتروني: www.mugtama.com
البريد الإلكتروني: info@mugtama.com
تليفون: ٢٢٥١٤١٨٠ ٩٦٥ + - ٢٢٥١٩٥٣٩ ٩٦٥+

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة، أو أى وسيلة نشر أخرى، أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

الداعية العصري

(مجموعة مؤلفين)

مجلة المجتمع

بسم الله الرحمن الرحیم

مقدمة

تقف الدعوة إلى الله أمام تحدٍّ كبير؛ لمواكبة التطور التكنولوجي الهائل والمتسارع في وسائل الاتصال والتواصل، خاصة مع ظهور منابر جديدة، وأدوات ذكية، واحتياجات جديدة لأجيال، ربما لا تتعاطى بشكل إيجابي مع المنابر التقليدية، أو قد تتطلب لغة جاذبة تختلف مفرداتها باختلاف المجتمعات والثقافات والهويات.

ويعد التأهيل الدعوي ضرورة ملحة لصناعة ما يمكن تسميته بـ«الداعية العصري»؛ للولوج إلى الفضاء الإلكتروني، وغزو السماوات المفتوحة، في عصر الإنترنت والذكاء الاصطناعي، الأمر الذي يضع الدعاة أنفسهم أمام تحدٍّ عظيم.

الداعية الناجح، من مرتكزات التكوين ومضامين الرسالة ووضوح الأهداف التي يبتغيها، إلى عصرنة أدوات الدعوة، والمصاعب التي يواجهها الدعاة، ومستقبل الدعوة في زمن «الميديا»، وغير ذلك من قضايا، كانت محور هذا الإصدار الذي تضعه «المجتمع» بين يدي المهتمين بالعمل الدعوي والرسالي.

مجلة «المجتمع»

سؤال الوقت: من يصلح لرسالة الدعوة في عصرنا؟

د. عمرو نافع

يقول الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النَّحل:١٢٥].

ومن الحكمة في عصرنا اتخاذ الأساليب العصرية لتحقيق هدف الدعوة، يعاني كثير من دعاة وخطباء المساجد في بلادنا العربية من هيمنة للأساليب النمطية في تقديم الدعوة، وعدم إلمام بمستحدثات العصر سواء على مستوى تقنية المنابر الجديدة أو تطوير ملكات الداعية ذاته، ووسائله الإقناعية، بل والموضوعات التي يشتبك فيها مع هموم الشباب من أبناء هذا الجيل.

الداعية.. والتواصل الاجتماعي:

مؤخرًا، ناقش المؤتمر الدولي الرابع والثلاثون لوزارة الأوقاف المصرية موضوع «الفضاء الإلكتروني والوسائل العصرية للخطاب الديني»، ومن بين المتحدثين اقترح الخبير الخضر عبدالباقي، مدير المركز النيجيري للبحوث العربية، أن نركز جهودنا في الأحكام المتعلقة بمنصات التواصل الاجتماعي، فالوسائط تحمل أحكام الأهداف التي جاءت لتلبيتها، ومن هنا فنحن أمام الاستخدام الاستهلاكي؛ وهو التعاطي الذي يقتصر فيه الفرد على الولوج إلى منصات التواصل الاجتماعي لمجرد المشاهدة والاطلاع وإشباع فضوله، والاستخدام التشاركي؛ وهو التعاطي الذي ينخرط معه الفرد في عملية صناعة المحتوى للمنصة.

وفي كلا الاستخـدامين يتحقق الفعل التفاعلي، وتثبت فيهما المسؤولية على الفرد ولو بدرجات متفاوتة، في دعم تلك المنصات وممارسة دور المنشئ لمحتواها؛ لذا فإن الضابط الشرعي هو أن يكون استخدام الفرد أو الداعية للوسيلة الإعلامية محققاً للمصلحة الشرعية المعتبرة والراجحة، واعتبار المآلات وما ينعكس على البرنامج الذي يضعه من فوائد ومضار، والأخذ في الاعتبار السياق الذي أنشئت المنصة لأجله، وإبراز الموقف الرافض دونما مواربة لكل المظاهر الاجتماعية الخاطئة، فهنا يعلن الداعية قناعاته المبنية على قواعد شرعية، ويحقق شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع التركيز في وجود ضوابط شرعية لاستخدام الصور الشخصية، وأن تكون الممارسات التواصلية للداعية في نطاق عمله وليس على حساب واجباته الأولى، ولا أن تكون خارج سياق الدعوة.

العلوم الشرعية.. عن بُعد:

لقد أصبح لزامًا حتى على الأساتذة الأكاديميين أن يجيدوا فنون تعليم الطلاب عن بُعد، ويرى د. محسن محمد، رئيس قسم الشريعة في جامعة الفيوم، أن لتعلم العلـوم الشرعيــة عبــر الفضــاء الإلكتروني ميزات كثيرة، منها: مرونة التعلم، والتحفيز على إبداء الرأي دونما حرج، والتشجيع على العمل الجماعي، ومراعاة الفروق الفردية بين الطلاب، وهؤلاء الذين لا يمكنهم الحضور بانتظام، وتعدد طرق التدريس، وتنمية القدرات الفكرية.

ويرى بعض الخبراء أن أسلوب الدعوة التقليدية بات ضعيفاً في توصيل المعلومة الدينية والشرعية، فجب أن نخوض غمار الوسائل غير التقليدية من الأفلام والرســوم ثلاثيـة الأبعــاد والمحاكاة ببرامج الذكاء الاصطناعي؛ حيث تعمل «الأفلمة» على إثراء التصوير للمشاهد القصصية والأحداث التاريخية؛ مما يؤدي

إلى اتصال حلقة الماضي والمستقبل، وإحياء السنن.

ولو ضربنا أمثلة بملفات مثل الزواج والطلاق والخلع من الممكن أن تؤثر على الأمن القومي العربي، فهي تحتاج لمعالجة حكيمة منضبطة مع الشرع ومع العصر.

إندونيسيا.. تطبيق عملي لعصرنة الدعوة:

في دراسة حديثة عن «الدعاة وتحديات التغيير الاجتماعي»، يقوم كل من توني هارتون، وماسدوكي، من كلية الدعوة والاتصال الإندونيسية، بتطبيق حاجة المجتمع للدعوة العصرية المستندة لوسائل الاتصال الحديثة، باعتبار أن الدعوة عملية تغيير اجتماعي تهدف لتحسين حياة الناس استناداً إلى الدين، وقد أصبح ذلك ضرورة في ظل ما تواجهه الأجيال الجديدة من قيم متنافرة مع الإسلام وتحض على الرذيلة، كما تبرز الحاجة لأن يعمل الإسلام بقيمه العظيمة كقوة عظيمة لدفع الشباب ذاتياً نحو النجاح والفاعلية في مجتمعاتهم.

ولهذا، فإن المقترح بأن يحمل الداعية أو الواعظ الديني شهادة تؤكد احترافيته ليس في مجال الجوانب الشرعية فحسب، بل فنون الدعوة العصرية ووسائلها، وهو أسلوب حديث ينتهجه مجلس العلماء الإندونيسي، كما تنتهجه مجموعات محلية في إندونيسيا كمثال حالة باسم «PMD»، وتتركز في مدينة دوماي، إضافة لتجنب الداعية المضامين التي تحض على الكراهية، والخلاف والجدل بلا طائل، مثل الحديث في قضايا الخلافة وكراهية الآخر غير المسلم.

خذ الكتاب بقوة:

إن الدعوة إلى الله رسالة الأنبياء والصالحين من بعدهم، وبحاجة إلى رجل له من ميراث يحيى عليه السلام نصيب؛ فقد أمره الله بقوله: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ [مَرۡيَم:١٢]، والقوة اليوم هي الوسائل العصرية من وسائل اتصال وتكنولوجيا، ودراسة

موضوع الدعوة وجوانبها العصرية والاشتباك مع هموم المسلمين، والتواصل معهم عبر قنوات جديدة، والتفاعل أخذاً ورداً.

كما أن الداعية عليه استلهام العبرة من هدهد سليمان عليه السلام، وكيف شكل جهازاً إعلامياً متكاملاً ساهم في إسلام مملكة سبأ اليمنية، بدقة الملاحظة ومعرفة ثقافة الآخر وقوة الحجة، والدعوة ليست فقط خطابة فوق المنابر؛ بل دعوة بالقدوة الشخصية، والقدوة المجتمعية عبر تقديم الخدمات والعون للناس.

والداعية الحقيقي هو الذي يشرع الأبواب أمام السائلين لفهم الإسلام وتشرب حكمته والاقتناع بها والولاء لها؛ بدلاً من أولئك الذين يتشددون فيما فيه سعة، ويضيقون واسعًا، فيمضي الخلق عنهم متوهمين أن ذلك من أصل الدين والدين منه براء.

يقول العلَّامة النابلسي: لقد أصبح أمراً مفروغاً منه أن يلمّ الداعية بقضايا الإعجاز العلمي، لا سيما في العصر الحديث الذي يستلزم خطاباً عقلياً باتجاه الغرب، مصداقاً لقول الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ) (إبراهيم: ٤)، ولسان القوم ليس فقط اللغة التي يتكلمون بها، وإنما لغة العصر، فلسان العرب يوم جاءهم وحي السماء كان اللغة والشعر فتحدّاهم القرآن الكريم بلغتهم، ولسان قوم موسى عليه السلام كان السحر فجاءهم بخوارق قضت على إفكهم، ولسان قوم عيسى عليه السلام كان الطب فجاءهم بخوارق يعجز عنها الطب.

وميزة القرآن الكريم في كونه تحدياً أبدياً في الإعجاز المعنوي وليس المادي فحسب، لكن ذلك يحتاج لجهد من الداعية العصري في دراسته وتدبره ونشر اليقين به في القلوب.

الدعاة و«الميديا».. الطاقة الكامنة

مصطفى عاشور

يبدو أن بعض الدعاة يظن أن أمانة تبليغ الدعوة تقتصر على إفراغ ما في جعبتهم من وعظ ونصح وأحكام، من خلال الوسائل التقليدية، خاصة المنبر والوعظ العام، ويهمل بعض هؤلاء فهم «الميديا» ووسائط الاتصال الحديثة، رغم أن التقصير في فهمها لا يقل عن التقصير في فهم الإسلام والدعوة إليه؛ لأن الدعوة رسالة اتصالية، وهذه الرسالة لا تنتقل إلى الآخرين من تلقاء ذاتها، ولكن لا بد من وسائط ووسائل لإيصالها للمتلقي.

الدين في «الميديا»:

والحقيقة أن تغافل خطورة «الميديا» وتأثيراتها قضية يتشارك فيها أهل الأديان، فهو ليس أمراً قاصراً على دعاة الإسلام فقط، فغالبية المتصدرين للشأن الديني إما يتخذون موقفاً سلبياً من «الميديا»، أو يظهرون فيها بصورة باهتة، أو يتركون لصناع الأخبار والمحتوى تشكيل الشأن الديني وفق رؤيتهم وأفكارهم ومعتقداتهم، وهي مسألة في الغالب في غير صالح الرؤية الدينية، إذ يتم بناء صورة ذهنية غير جيدة عن الدين ودعاته في المخيال العام.

ففي دراسة عن الإيمان والإعلام في العالم، صدرت العام الماضي بعنوان «الإيمان العالمي والميديا» (Global Faith and Media)، وهي من أكبر الدراسات في مجالها، كان سؤالها الأساسي: كيف يتم تصوير الإيمان والدين في الإعلام؟ وهي

دراسة شملت ١٨ دولة، وشملت غالبية الأديان في الأرض، وشارك فيها حوالي ٩ آلاف شخص، من بينهم صحفيون وصناع محتوى وإعلاميون ورجال دين وأشخاص عاديون، وخلصت إلى نتائج مهمة يجب أن تستوقف الدعاة في بناء تصوراتهم عن «الميديا»، أو التفاعل معها، أو استخدامها كمنبر دعوي.

ومما أشارت إليه الدراسة أن الصحفيين في غرف الأخبار، التي يسيطر عليها العلمانيون -كما وصفتهم الدراسة- ينظرون للتغطية الدينية على أنها شيء رديء وغير متسق مع مفهوم التغطية الإعلامية الإخبارية؛ ولذلك يهمشون الأخبار الدينية ولا ينظرون إليها باهتمام، وأن هؤلاء الصحفيين لا يهتمون بالخبر الديني إلا وقت الأزمة أو الفضيحة، ولعل هذا ما يجعل حضور الشأن الديني في «الميديا» مشوهاً، وسلبياً، وقاتماً، ومخيفاً، فتصبح القصص الإخبارية المنهالة على الناس لا تشجع على الارتباط بالدين؛ بل وتنظر بازدراء وقلق إلى الدين ودعاته.

وذكرت الدراسة أن ٥٣٪ من العينة أكدوا أن الإعلام يتجاهل الشأن الديني، وأن ٦٣٪ يرون ضرورة تقديم محتوى عالي الجودة عن الدين والعقيدة، وأن ٦١٪ رأوا أن «الميديا» تُديم الصورة النمطية عن الدين، وأن ٨ من كل ١٠ أشخاص رأوا ضرورة أن توفر الجماعات الدينية عدداً من المتحدثين الرسميين ذوي الشأن بالموضوع، وأن «الميديا» توفر قوالب نمطية للدين في الإعلام مما يؤدي إلى استمرار المشكلة، ومن هذه القوالب أن الدين يُنظَر إليه كقوة محافظة أو متطرفة في التغطيات الإعلامية، وأن بعضاً من الشخصيات الدينية التي يتم استدعاؤها في الإعلام -غالباً- ما يتم اختيارها لتؤكد هذا النمط، وقالت الدراسة: «إن غرفة التحرير نادراً ما تمثل تعددية الآراء الدينية في المجتمع».

ويؤكد ما توصلت إليه هذه الدراسة كتاب «النقطة العمياء: عندما لا يتدين الصحفيون»(١) الذي أكد أن هناك عملية تشويه تلحق بالخبر والتغطية الدينية بسبب الصحفيين غير المؤمنين، وقليلي المعرفة بالشأن الديني، وهؤلاء يشكلون خطراً في «الميديا» تجاه بناء التصورات الذهنية للجماهير عن الدين.

وأشار الكتاب -مثلاً- إلى أن الصحفيين الذين يغطون الشؤون الحزبية يمتلكون إلماماً كافياً، وربما واسعاً عن الشأن الحزبي، وربما كان لهم انتماء حزبي، وهو ما يخلق تحيزاً في التغطية، وذلك على خلاف أغلب الإعلاميين والصحفيين الذين يغطون الشأن الديني، لكن الأغرب أنه لا ينظر إلى هذا القصور التكويني والمعرفي للصحفيين على أنه مشكلة وأزمة، وهو ما يرسخ فكرة التغطية السطحية والمشوهة للدين.

يقول بول مارشال، أحد مؤلفي الكتاب: «إن وسائل الإعلام تسيء فهم العالم، الذي تصفه للجمهور، بسبب جهل جاد وطويل الأمد بكل الأشياء الدينية».

اصنع إعلامك:

هذا الضغط من «الميديا» على أهل الأديان يفرض على الدعاة فهم موقف الإعلام من الدين بصفة عامة، والإسلام بصفة خاصة، كذلك إجادة التعامل مع الإعلام، والقدرة على طرح الرؤية الدينية بصورة تراعي الوسيط الإعلامي وشروطه.

ونشير هنا إلى نموذج من النجاح لمبشر أمريكي استطاع أن يستثمر «الميديا» استثماراً عالياً، ونجح في أن يتابعه مئات الملايين حول العالم، وهو بيلي جرهام الذي فتح أذهان الإنجيليين على التقنيات الحديثة في الإعلام، وكيفية الاستخدام الكفء لها في السينما والإذاعة والتلفزيون، واستطاع من خلال الإعلام التأثير في

المشهد الديني والإنجيلي، وكان الاستماع إليه في الستينيات والسبعينيات صيحة في الغرب، وهو رجل عاش مائة عام تقريباً، ظل قرابة السبعين منها شخصية إعلامية بارزة، وكانت مواعظه تبث عبر وسائط «الميديا» المختلفة، وحصل على جائزة الرجل الأكثر إثارة للإعجاب ٥٥ مرة!

هذه التجربة تثبت أن الإعلام والدين متلازمان، وأن رجل الدين يستطيع أن ينجح إعلامياً بصورة تثير الدهشة والإبهار، فالنجاح الإعلامي ليس احتكاراً لصناع «الميديا» وحدهم.

والحقيقة أن الثورة في مجال «الميديا» تفرض على الدعاة التعامل معها، وإجادتها وأخذها على محمل الجد، فالعصر الذي نحياه هو عصر الشاشات بكافة أنواعها، ولا تستطيع الدعوة النفاذ إلى غالب قلوب الناس إلا من خلال الشاشات، فلم يعد المنبر وحده كافياً لتبليغ الرسالة، كما أن الدعوة الفردية من الممكن ممارستها من خلال «الميديا» ومواقع التواصل الاجتماعي، فتكنولوجيا الاتصال من أهم منجزات الإنسان الحديث، فقد قربت المسافات، وأفرزت ثورة معلوماتية هائلة، كما منحت شبكات التواصل الاجتماعي الفرصة لمئات الملايين من الأفراد إمكانية أن يكونون صناعي محتوى، وأن يطرحوا أفكارهم بسهولة ويسر، وهذا يفرض على الدعاة أن يكون لهم حضور قوي وفعال في «الميديا» خاصة مواقع التواصل الاجتماعي، وأن يكونوا على دراية بطبيعة الوسيط وقدراته، ومن المهم إلى جانب تطوير قدرات الدعاة في التعاطي مع «الميديا»، ضرورة أن يكون الاهتمام بالفئات الشبابية التي تجيد التعامل مع «الميديا» وشبكات التواصل الاجتماعي، وإمدادها بالعمق الديني والمعرفي لتمارس هي نشاطاً دعوياً ناجزاً وواسعاً في الفضاء الرقمي.

ونشير هنا إلى نماذج نجاح من شباب استطاع أن يحقق نجاحاً دعوياً من خلال «الميديا»، بمبادرات شخصية، لكن تفوقهم كان متميزاً، فـ«الميديا» مجال واسع للمنافسة، وتحصيل النجاح، ففي دراسة بعنوان إنستجرام مسلم» عن تجربة مجموعة من الشباب المسلم استطاعوا أن يمارسوا الدعوة من خلال موقع «أنستجرام» وأن يعبروا عن هويتهم الإسلامية، ويدعوا إليها، فالفهم الجيد للوسيط الإلكتروني أسهم في نجاحهم، خاصة إجادة عرض الصور التي تعبر عن الدين، ومنحها الجاذبية من خلال التقنيات الحديثة، فكانت الصور بالحجاب وأثناء تأدية مناسك الحج والعمرة، والصلاة في المساجد والممارسات اليومية، تحمل رسائل دعوية حققت نجاحاً ملحوظاً، ومن خلال الصورة أخذت تتحطم بعض من الصور النمطية عن التدين الذي صار في أذهان البعض قريناً للعنف والغلظة، وغياب الأناقة والرثاثة، حيث استندت تجربتهم على فكرة تقديم الإسلام بصورة جذابة وناضرة ومحفزة على الاقتداء والتأسي والاتباع.

وكما يقول الداعية الأمريكي المسلم مالكوم إكس: «الإعلام هو أقوى كيان على وجه الأرض، فلديه القدرة على جعل الأبرياء مذنبين وبراءة المذنب، وهذه هي القوة؛ لأنهم يتحكمون في عقول الجماهير»، ومن ثم فمن العبث أن يعطي الدعاة ظهورهم لـ«الميديا».

«يوتيوبر» وفقيه.. أزمة غياب الدعاة عن ساحة «الميديا»

عامر شماخ

يوتيوبر يتحدث عن وجوب تجديد الدين، وآخر يطالب بمراجعة الأنصبة والمواريث، وثالثة تفتي بإلغاء طاعة الزوجة لزوجها إذا كانت هي من تنفق على البيت، وممثلة تطالب المسلمين بمراجعة أحاديث البخاري وتتحدث عن الإمام الحافظ المحدّث كأنه صديقها! في المقابل يرى روّاد مواقع التواصل الاجتماعي معمّمين يحلّون الربا ويبيحون المخادنة ويروّجون للاستبداد، بل يرون إمامًا سابقًا للحرم المكي يمثِّل دور «كومبارس» في أحد الأفلام الترويجية!

هذه الفوضى أثرٌ لغياب العلماء الثقات عن ساحة الميديا، فتركوها لقمة سائغة لجمٍّ غفير من المنافقين والعلمانيين والملاحدة والشهوانيين والطائفيين المحاربين لدين الله، ولطوائف من الصوفيين المنحرفين، ثم للجهلة الذين يفتون بما لا يعلمون. والعجيب أن هؤلاء وهؤلاء يطعنون في الإسلام دون غيره من الأديان، والأعجب أن لديهم الجرأة على التصريح بآرائهم الصادمة دون خوف المساءلة، وهم -جميعًا- ليسوا ذوي صفة علمية، وليسوا ذوي إيمان ظاهر، بل لا نبالغ إذا قلنا إن أحدهم لا يحسن غسله ووضوءه ورغم ذلك يجادل في مسائل العلم وأبواب الدين!

الدعوة على الشبكة العنكبوتية:

لم يدرك علماؤنا الثقات بعدُ تأثير الشبكة العنكبوتية على شعوبنا المسلمة، كما لم يدركوا أهميتها ومزاياها بالنسبة للدعوة كمجتمع هائل يحتاج إلى العلم والإفتاء على قدر اتساعه، ويحتاج إلى تطوير المهارات لمجاراة سرعته وحيز انتشاره، لقد

تقوقع بعضهم مكتفيًا بما تم نشره من قبل من خطب وكتب ورقية، وغاية ما شارك به على الشبكة هو إعادة نشر ما سبق نشره، دون تواجد شخصي، ودون تفاعل حقيقي أو تجديد في طرق الدعوة، أو ربما عيّن «أدمن» لإثبات الحضور، وما هو بحضور، بل هو تقصير في حق نفسه وفي حق دعوة الله تعالى.

هل يعلم شيوخنا الأجلاء أن مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي يقتربون من أربعة مليارات مستخدم في اليوم الواحد، بما يزيد عن نصف سكان المعمورة؟ وهل يعلمون أن الشباب هم أكثر الفئات العمرية استخدامًا لها؟ فماذا هم فاعلون إزاء هذه الفرصة الدعوية العظيمة؟ وإزاء هذا العدد الذي لم يحدث أن اجتمع في تاريخ البشرية؟ أمام هذه الثورة الاتصالية لا بد أن يعطي الدعاة العاملون ظهورهم قليلًا للوسائل التقليدية في الدعوة والتربية التي ربما أُحيلت إلى الاستيداع قريبًا، وأن يولوا وجوههم شطر ساحة الميديا، وإن لم يفعلوا صاروا كما قال الشاعر:

أيا صاح هذا الركبُ ســـــار مسرعًا ونحن قعودٌ ما الـــــذي أنت صانعُ

أترضى بأن تبقـــــى المخلَّفَ بعدَهم صريـــــعَ الأماني والغـــــرامِ منازع؟

شروط الفتوى والمفتي:

إن النصوص الشرعية ليست كلأً مباحًا يرعى فيه الجهلة والدهماء وباقي الأصناف التي ذكرناها، وإذا كان من أصول الفقه: «تغيّر الفتوى بتغير الزمان والمكان» فإنه يُراعَى ألا يكون ذلك تبعًا للهوى لإنكار معلوم من الدين بالضرورة، أو للتغمية على المسلمين وتحريف دينهم، بالزيادة عليه أو النقصان منه، وقد شهد الله بتمامه في محكم آياته بقوله عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائِدَة:٣]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ

شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النَّحل:٨٩].

وشرعُنا واضحٌ لا غموضَ فيه، ومنهاجُهُ بيِّنٌ لا لبسَ فيه، وهو قائمٌ على أسس علمية متينة، وقواعد عصيّة على الخلط والتزوير، فلا فُرجة فيه لمُدلِّس لاختراق إجماع الأمة أو تحريف الأحكام. مطلوب فقط من دعاتنا الموثوقين التصدي لمن يفتون بغير علم، ولمن يسعون لتشويه الدين وتمزيقه بقولهم هذا حلال وهذا حرام، وهذا واجب وهذا غير واجب، فتُنقل هذه الأقوال عنهم فيفشو الكذب وتصير فتنة، وهذا دور العلماء الربانيين الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الحافظين لحدود الله، الذين إن غابوا اتخذ الناس رؤوسًا جهّالاً كما ورد في الخبر: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسُئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا».

تجديد الخطاب الديني:

ومن القضايا التي يطرحها هؤلاء «اليوتيوبرات» هذه الأيام؛ قضية «تجديد الخطاب الديني»، مقصدهم منها: النفاذ إلى غيرها من المسائل الكبرى المتعلقة بالحدود والعبادات؛ فإذا كان بالإمكان -حسب ظنهم- التنازل في القضايا الصغرى اليوم؛ فبالإمكان التنازل في الكبرى غدًا. وهنا يكون دور الدعاة الحقيقيين، الفاهمين، الذين يسيرون على خطى النبي ﷺ ويعلمون شروط هذا التجديد؛ ومنها ألا يطال الأمور التوقيفية أو القطعية التي لا خلاف فيها، وأن يكون بغرض التيسير على المسلمين وفتح الطريق أمامهم لتمتين الأخلاق وتأسيس الحضارة، ومدّ حبال التواصل مع «الآخر»، وإظهار محاسن الدين، وعفو الله ورحمته بالبشر، وتنقيته من الثقافات الدخيلة. وهذا يحتاج تواجدًا وتفاعلاً وظهورًا، وكلّما نسّق الدعاة فيما بينهم كان ذلك أجدى وأنفع.

الواقع والعلاج:

ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إنكم -أي الصحابة- في زمان كبيرٌ فقهاؤه؛ أي علماؤه، قليل خطباؤه، قليل سُؤَّالُه، كبير معطوه، العمل فيه قائد للهوى، وسيأتي من بعدكم زمانٌ؛ قليلٌ فقهاؤه، كبير خطباؤه، كثير سُؤَّالُه، قليلٌ معطوه، الهوى فيه قائد للعمل، اعلموا أن حُسنَ الهَدْي في آخر الزمان خيرٌ من بعض العمل». كأنه يتحدث عن واقع اليوم، والعلاج هو استنفار العلماء الربانيين والمفتين الثقات لسدّ هذا الخلل ومواجهة هذه النازلة.

ونختم بما قاله الشيخ «محمد صالح المنجد» في هذا الصدد: (وحاجة المجتمع المسلم إلى الإفتاء كبيرة؛ لأن المجتمع المسلم إذا انعدم فيه القائمون بالإفتاء بحيث لا يجد الناس من يتعلمون منه حكم الله في عباداتهم ومعاملاتهم وشؤونهم، فإن ذلك سيؤدي إلى تزايد الجهل بالشرعية، وتخبّط الناس خبط عشواء فيقعون في الحرام، ويحرّمون الحلال، ويرتكبون المعاصي من حيث يشعرون أو لا يشعرون، ويعملون السيئات وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعًا. وهكذا يحلّ الخلل بعباداتهم ومعاملاتهم؛ ولذلك فإن نصب المفتين، والتصدي لهذا من فروض الكفايات).

من صفات الداعية الناجح ومقوماته في فكر الشيخ محمد الغزالي

د. وصفي عاشور أبو زيد

كثير من الناس إذا ذكر اسم الداعية ينصرف ذهنه إلى الخطيب، وإذا ذكر اسم الخطيب ينصرف إلى الداعية، والحقيقة أن الداعية يختلف عن الخطيب، كما يختلف عملهما؛ إذ الخطيب يقتصر عمله في الغالب على أداء خطبة الجمعة، لتفعيل الناس بعدها، وتوضيح بعض المبهمات، والإجابة عن بعض التساؤلات، بينما عمل الداعية أشمل وأوسع وأعمق.

الداعية طبيب يطبب المجتمع من أدوائه، ويبرئه من علله، ويعالج مشكلات الناس، ويلبي حاجات المجتمع، فهو عقل قادر على الربط بين مشكلات المجتمع وثقافة الدعوة، يشخص فيه الداء؛ ليصف له الدواء.

وتمثل الخطابة إحدى وسائل الدعوة التي تشمل وسائل أخرى عديدة، منها: القدوة الحسنة والتعليم والتذكير، والكتابة بأنواعها، والترغيب والترهيب، والعمل المتواصل من أجل قضاء مصالح الخلق، والمشاركة في النشاطات الاجتماعية المختلفة، والقيام بكل ما يوصف بالعمل الصالح في مجتمع من المجتمعات، ومن الخير أيضاً أن نفرق بين المقومات من جانب والصفات أو الخصائص من جانب آخر، فالمقومات هي ما يكوِّن الداعية ذاته وينشئ بنيانه، أما الصفات والخصائص فهي شيء خارج عن تكوينه، فالمبنى مثلاً يتكون من مواد كوَّنت بناءه هذه هي المقومات، أما الصفات والخصائص فهي أن يكون المبنى مرتفعاً وحجراته واسعة، ولونه كذا.. إلخ، فالمقومات بتعبير

المناطقة جوهر، بينما الخصائص والصفات عرض، ويطيب الحديث عن مقومات الداعية وخصائصه إذا كان موضوعها داعية كبيراً مثل الشيخ محمد الغزالي.

يرى الغزالي، ابتداءً، أن الناس لا غنى لهم عن هداية الله تعالى كما لا غنى لهم عن رزقه، فهم فقراء فيما يطعم أبدانهم من جوع، وفيما يزكي أرواحهم من كدر.

ومهما أوتي بعضهم من ذكاء أو صفاء، فإنه لن يستطيع تدبير شأنه وإصلاح أمره بعيداً عن وحي الله وتعليم أنبيائه.

إن الأمم إذا لم تنتعش برسالات السماء فهي جماهير من موتى القلوب، أو هي ألوف من الرمم الهامدة، وإن حركتها الغرائز السائلة، والأمم مهما ارتقت من الناحية النظرية أو الصناعية، فإن بعدها عن الله تعالى يزين لها من الجرائم ما تنحط به إلى الدرك الأسفل، وما تتعرض به لأوخم العواقب.

وما الجفاف الروحي، والانقطاع الرهيب عن الله رب العالمين، والصدود الغريب عن تراث النبيين، وغلبة الأثرة والجشع على الأقوياء، وسيادة المنطق المادي في كل شيء.. إلا نذير شؤم، وأي تقدم يحرزه العلم في تلك الميادين لا يبعث على التفاؤل ما لم يصحبه عود سريع إلى الله عز وجل، وإعزاز لأمره وإعلاء لشرعه[1].

ويؤكد الشيخ دوماً أن تكوين الدعاة يعني تكوين الأمة، فالأمم العظيمة ليست إلا صناعة حسنة لنفر من الرجال الموهوبين، وأثر الرجل العبقري فيمن حوله كأثر المطر في الأرض الموات، وأثر الشعاع في المكان المظلم، وكم من شعوب رسفت دهراً في قيود الهوان، حتى قيض الله لها القائد الذي نفخ فيها من روحه روح الحرية، فتحولت بعد ركود إلى إعصار يجتاح الطغاة ويدك معاقلهم[2].

(١) مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة: ١٥، ١٧، ١٩، دار الكتب الإسلامية القاهرة. ط. سادسة.
(٢) السابق: ص ٧.

إذا كان الأمر بهذه الأهمية، فليس كل إنسان بداهة يصلح أن يكون داعية، فقد يكون المرء عالماً كبيراً، ولا يكون داعية، فالداعية له خصائص قد لا تتوافر لغيره من العلماء الباحثين، والدعاة أنفسهم متفاوتون في حظهم من هذه الخصائص، وربما تبدو هذه الخصائص لأول وهلة نعوتاً عامة يجب وجودها في جماهير المسلمين، ولا يختص بها نفر من الناس، بيد أن هذه النعوت وإن كانت شائعة في عامة المؤمنين فإن أنصبة الدعاة من معناها يكون أربى وأزكى.

إن حقائق الدرس بعد أن يشرحها الأستاذ قد تظهر متساوية لدى الجميع، وقد يظن التلاميذ أنهم ومعلمهم أصبحوا سواءً في وعيها، وهذا بعيد، فإن الأستاذ لديه من رسوخ المعلومات ووضوحها ومن القدرة على تقليبها وعرضها ما يعز على غيره.

وقد يوجد في الناس من امتلأ قلبه بالإيمان، لكن هذا الإيمان لا يعدو أصحابه، والإناء لكي يرشح على ما حوله يجب أن يفيض، وأن ينزل فيه ما يزيد على سعته وما ينسكب من جوانبه، فنفوس الدعاة يجب أن يكون لديها مقادير من اليقين والحماس والفضل يتجاوزها إلى ما عداها، ويجعل الاستفادة منها ميسرة للآخرين[1].

وقد استقرأنا استقراء سريعاً كتب الشيخ وتراثه فوجدنا أبرز خصائص الداعية الناجح ومقوماته تتمثل فيما يلي:

أولاً: حسن الصلة بالله تعالى:

وهي الصلة التي إليها يفيء الداعية ويرجع، وعليها يعتمد ويعول، ومنها يستمد ويقتبس، ولها يدعو ويبتهل، وعندها تجد نفسه راحتها وعزاءها.

والشيخ الغزالي يسميها الدعامة الأولى في أخلاق الدعاة، ولا يجوز عنده أن ينفك هذا الخلق عن داعية من الدعاة، إذ كيف تدعو الناس إلى أحد وصلتك

(١) مع الله، ص ١٦٦، وفي موكب الدعوة ٨٣، طبع نهضة مصر القاهرة، ط. أولى ١٩٩٧م.

به واهية، ومعرفتك به قليلة، وقد قال الله تعالى:﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفُرْقَان:٥٩]، ويشهد التاريخ أنه ما من نبي أو داعية أو مصلح إلا وكان له من حسن الصلة بالله النصيب الأوفر والقدح المعلى، وكانت صلته بالله قوية لا تخبو، حاضرة لا تغيب.

وإذا كان حسن الصلة بالله مطلباً ضرورياً لكل مسلم، فكيف يكون حكمها في شأن الداعية؟

إن الدعاة الذين يكرسون أوقاتهم لله تعالى، ولدفع الناس إلى سبيله وصفهم في طريقه لا بد أن يكون شعورهم بالله أعمق، وارتباطهم به أوثق، وشغلهم به أدوم، ورقابتهم له أقوى وأوضح.

يوضح الشيخ طبيعة هذه العلاقة بأنها روح ينفث الحياة، وينبض بالحركة والقوة، ويشيع الضوء والدف؛ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأَنْعَام:١٢٢]، وهذه الصلة تشمل في موكبها أرقى ما في الحياة، وأكمل أسباب النجاة، ولهذا حق على الدعاة ألا يهنوا في الحياة وألا يهونوا، وألا يعدلوا بنسبتهم إلى الله شيئاً، وأن ينظروا إلى الحياة على أنهم أكبر منها، وأن تغلب رؤيتهم لله كل ما يملأ العين في زحام الأحياء وتكاثرهم[1].

إن حسن الصلة بالله تعالى، ما دام الداعية مجتهداً مبلغاً يسدد الخطو، ويكمل النقص، ويجبر الكسر، ويجعل الداعية عزيزاً شامخاً؛ لأنه ينتسب إلى الركن الذي لا يميل، ويحتمي بالحمى الذي لا يُنال، ويعتمد على القوة التي لا تقهر.

(١) مع الله: ١٦٧ – ١٦٨، وعلل وأدوية: ١٦٦ – ١٦٧، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط. ثانية، ١٤٠٥هـ، والغزو الثقافي يمتد في فراغنا: ٢١٠، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة الأردن ط. ثانية، ١٩٨٠م.

ثانياً: إصلاح النفس:

وهو أمر واجب على كل مسلم، ونصيب الدعاة منه أقوى وألصق، ولعل إصلاح النفس ومعالجتها أولى ثمرات حسن الصلة بالله تعالى، فمن ذكر الله وأحسن به الصلة بصَّره بعيوب نفسه، وجعله منها على بصيرة، أما الذين نسوا خالقهم فهم يسيرون على غير هدى ويخبطون خبط عشواء؛ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر:١٩]، ونفس الداعية في فكر الشيخ الغزالي ينبغي أن تكون حقل تجارب[١].

ومن النتائج المستفادة يعرف أفضل البذور وأنسب الأوقات وأجدى الأساليب، ومن صدق الداعية مع ربه في أخذ نفسه ابتداء يكون مدى ما يصيب من توفيق في عمله مع الناس.

إن من أخطر النقائص أن يدعو الداعية إلى خُلق وقلبه منه فارغ، أو ينهى عن خُلق ويراه الناس عليه، إنه والحالة كذلك لا يسيء إلى نفسه فحسب، إنما يسيء إلى غيره من الدعاة، بل يسيء إلى الإسلام ذاته.

يذكر الشيخ نوعاً من الدعاة يحسبون كل ما يقولونه لغيرهم ليس موجهاً إليهم، إنما هو أمر يخص المخاطبين فقط، إنهم نقلة فحسب وأشرطة مسجلة، أو أسطوانات معبأة، تدور بعض الوقت ليستمع الناس إليها وهي تهرف بما لا تعرف، ثم توضع في أماكنها لتدار مرة أخرى إذا احتيج إليها.

ومع أن هذا النوع أهون من سابقه، فإن الشيخ يقول عنهم: هم آفة الإيمان وسقام الحياة، وهم الثقل الذي يهوي بالمثل العليا ويمرغها في الأوحال[٢].

---

(١) مع الله: ١٧١.

(٢) مع الله: ١٧١.

ولقد عاب القرآن الكريم على هذا الصنف فشبهه مرة بالحمار يحمل أسفاراً لا يدري قيمتها وما فيها من نور وهدى؛ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الجُمُعَة:٥]، ومرة أخرى بالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث؛ ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٧٦﴾ [الأَعْرَاف:١٧٥-١٧٦] .

وتسير عبارات الشيخ في خط مواز لهذا الكلام القاسي والمنفر عن هذا الخلق الذميم، فيقول يرحمه الله: إن الرجل القذر البدن لا يغني عنه أن يحمل بين يديه قطع الصابون، والكريه الرائحة لا يجديه أن يرى ومعه زجاجات من العطور، ودعاة الدين الذين تهب من سيرتهم سموم حارقة، إنما هم عار على الدين وصد عن سبيله[1].

وفي هذا المقام نذكر قول الشاعر:

يا أيهـــا الرجل المعلـــم غيره ... هلا لنفســـك كان ذا التعليـــم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصـــح به وأنت ســـقيم

ونـــراك تنصح بالرشـــاد عقولنا ... أبداً وأنـــت من الرشـــاد عديم

ابدأ بنفســـك فانهها عـــن غيها ... فإذا انتهـــت عنه فأنـــت حكيم

فهنـــاك يُؤخذ بالكلام ويُشـــتفي ... بالقول منـــك وينفـــع التعليم

(١) مع الله: ١٧٢ - ١٧٣.

ثالثا: ذكاء العقل ونقاء القلب ودقة الفهم:

وهذه فطرة يُفطر عليها الداعية، تجعله يقدر الأمور بمقدارها، ويضع كل شيء في مكانه، ويزن كل شيء بالقسطاس المستقيم، وباختصار تعبر عنها كلمة الحكمة؛ ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البَقَرَة:٢٦٩]، ويوضح الشيخ مراده بذكاء العقل قائلاً: ولا أريد بالذكاء عبقرية فائقة، يكفي أن يرى الأشياء كما هي دون زيادة أو نقص، فقد رأيت بعض الناس مصابة بحول فكري لا تنضبط معه الحقائق، قد يرى العادة عبادة، والنافلة فريضة، والشكل موضوعاً، ومن ثم يضطرب علاجه للأمور، وتصاب الدعوة على يديه بهزائم شديدة(١).

كما يبين مراده بنقاء القلب فيقول: لا أريد بنقاء القلب صفاء الملائكة، وإنما أنشد قلباً محباً للناس، عطوفاً عليهم لا يفرح في زلتهم، ولا يشمت في عقوبتهم، بل يحزن لخطئهم ويتمنى لهم الصواب(٢).

وفي فكر الغزالي -بل في أي فكر مستقيم- ينتج عن دقة الفهم عند الداعية التشخيص الصحيح للعلة التي أمامه، وتهيئة شفاء مناسب لها من كلام الله ورسوله، وبذلك يجيء نصحه طباً للمريض، ورحمة تُذهب عناءه، ونور يهديه السبيل.

والقدرة على هذا الأسلوب لا يلقاها إلا من استجمع ثروة طائلة من نصوص الكتاب والسُّنة تكون رصيداً عنده لأي داء وافد أو مرض عارض وإحاطة تامة بطبيعة البيئة وأحوالها الخفية والجلية، وظروفها القريبة والبعيدة، ليكون ذا خبرة واعية

(١) الحق المر: ١٣٥، مركز الإعلام العربي القاهرة ط. ثانية، ١٤١٧هـ، وراجع خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة ١/ ١٧ دار الاعتصام القاهرة بدون تاريخ.

(٢) السابق: نفس الصفحة، يراجع خطب الشيخ محمد الغزالي ١/ ١٦.

بالميدان الذي سيعمل فيه، حتى يدرك كيف يصلح دنيا الناس بدين الله[١].

ذلك أنه هناك دعاة يعيشون في الماضي البعيد، وكأن الإسلام دين تاريخي، وليس حاضراً ومستقبلاً، والغريب أنك قد تراه يتحامل على المعتزلة والجهمية مثلاً، وهو محق في ذلك، ولكنه ينسى أن الخصومات التي تواجه الإسلام قد تغيرت وحلت حقائق وعناوين أخرى[٢].

إن الداعية الذي لا يجمع بين الذكاء والنقاء يثير مشكلات معقدة أمام انتشار الإسلام، فلا دين إذا لم يتكون القلب النقي والعقل المؤمن، فمن فقد الضمير الصاحي والفكر الذكي فلا خير فيه[٣].

رابعاً: الإخلاص:

ولا يتعجب القارئ من تأخير الإخلاص بعد حسن الصلة بالله وإصلاح النفس والذكاء والنقاء، فلا يغني الإخلاص شيئاً إذا كانت صلة الداعية بالله واهنة، بل هما متلازمان، وكذلك الأمر إذا كان مخلصاً ولا يتعهد نفسه بالعلاج والمجاهدة، أو يخالف قوله فعله، وهل يغني الإخلاص عن ذكاء العقل ونقاء القلب شيئاً مذكوراً؟

إن الدعوة الإسلامية لأشد ما عانت من قوم لا يشكك أحد في إخلاصهم وتجردهم لله تعالى لكنهم فاتهم كثير من حسن الفهم وعمق التجربة؛ فأساؤوا إلى الإسلام من حيث أرادوا الإحسان ولقيت الدعوة على أيديهم ما لم تلقه من أعدائها.

والإخلاص هو روح الدين ولباب العبادة وشرط قبول العمل، فلا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه، وقد قال ابن عطاء الله قديماً: الأعمال

(١) مع الله: ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٩.
(٢) خطب الشيخ محمد الغزالي: ١/ ١٦.
(٣) الحق المر، ص ١٣٦-١٤١، وعلل وأدوية، ص ٢٠٨ - ٢١٠.

صور قائمة، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيه.

وإذا كان الإخلاص فريضة على كل عابد، فهو في حق العامل والداعي أفرض وأوجب، وغني عن الذكر ما ورد في القرآن من آيات وفي السُّنة من أحاديث تحض على الإخلاص في العمل والعبادة، وتحذر من الشرك بالله وابتغاء غير وجهه تعالى بالعمل.

إن الداعية المرائي -في فكر الشيخ- يقترف جريمة مزدوجة، إنه في جبين الدين سُبة متنقلة وآفة جائحة، وتقهقُرُ الأديان في حلبة الحياة يرجع إلى مسالك هؤلاء الأدعياء، وقد رويت آثاراً كثيرة تفضح سيرتهم وتكشف عقباهم، والذي يحصي ما أصاب قضايا الإيمان من انتكاسات على أيدي أدعياء التدين لا يستكثر ما أعد لهم في الآخرة من ويل، والعمل الخالص الطيب -ولا يقبل الله إلا طيباً- هو الذي يقوم به مصاحبه بدوافع اليقين المحض وابتغاء وجه الله تعالى، دون اكتراث برضا أو سخط، ودون تحرٍّ لإجابة رغبة أو كبح رغبة[1].

وعامة الناس يعرفون أن النية الصالحة تنقذ صاحبها من ورطات شتى، وأن النية المدخولة يصحبها العثار والشرود، وقد وعد الله المؤمنين الأتقياء بأنه جاعل لهم نوراً يمشون به، فمن أدركه شعاع هذا النور لزم الصراط السوي، وتجنب المزالق المخوفة؛ ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ [النُّور:٤٠][2].

خامساً: الثقافة الموسوعية:

فقر الثقافة للدعاة يمثل -في فكر الشيخ- خطراً أشد من فقر الدم، وأسوأ عقبى من الفقر المالي، والشعب الذي يعاني الغباء والتخلف لا يصلح للمعالي ولا يستطيع

(١) مع الله، ص ١٨٠-١٨١-١٨٤.
(٢) الحق المر، ص ١٢٠.

حمل رسالة كبيرة[1]، فغزارة الثقافة وسعة الأفق وروعة الحصيلة العلمية خِلالٌ لا بد منها لأي داعية موفق، وكيف لا والداعية يواجه طبقات شتى واهتمامات متعددة تختلف باختلاف الناس، إنه يخاطب الطبيب والمهندس والأستاذ والمعلم والعامل والصانع والحائك والتاجر والمتعلم والجاهل والمؤدب وسيئ الأدب والعاقل والأحمق، إنه يحتاج إلى ثقافة تضم هؤلاء جميعاً وتؤثر فيهم.

ولهذا، يطلق الشيخ الغزالي العنان في الثقافة أمام الداعية، يقول: إن الداعية المسلم في عصرنا هذا يجب أن يكون ذا ثروة طائلة من الثقافة الإسلامية والإنسانية، بمعنى أن يكون عارفاً للكتاب والسُّنة والفقه الإسلامي والحضارة الإسلامية، وفي الوقت نفسه يجب أن يكون ملماً بالتاريخ الإنساني وعلوم الكون والحياة والثقافات الإنسانية المعاصرة التي تتصل بشتى المذاهب والفلسفات، ويحتاج الداعية المسلم في هذا العصر إلى بصر بأساليب أعداء الإسلام على اختلاف منازعهم، سواء كانوا ملحدين ينكرون الألوهية أو كتابيين ينكرون الإسلام[2].

كما يحتاج الداعية إلى علوم العربية والأدب شعراً ونثراً، فالداعية الذي يشعر بغربة في ميدان الأدب يجب أن يترك ميدان الدعوة لفوره، فإن الذي يحاول خدمة الرسالة الإسلامية دون أن يكون محيطاً بأدب العربية في شتى أعصارها إنما يحاول عبثاً، وأنى لرجل محروم من حاسة البلاغة أن يخدم ديناً كتابه معجزة بيانية ورسوله ﷺ إمام للحكمة وفصل الخطاب؟![3].

ويركز الغزالي في الثقافة على فهم القرآن أولاً قبل السُّنة بالذات لأن السُّنة مبينة

(١) راجع مثلاً كنوز من السُّنة ١٢ ضمن إصدارات مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٩م.

(٢) خطب الغزالي في شؤون الدين والحياة (١/ ١٦)، وانظر، مع الله، ص ١٩٥، وما بعدها، وراجع بتوسع ثقافة الداعية للشيخ يوسف القرضاوي.

(٣) مع الله، ص ٢٠١.

له، وشارحة لغامضه، وموضحة لمبهمه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النَّحل:٤٤]، فالنفس الإنسانية لا تدرك أطرافاً من الكمال الأعلى يغرس في أعماقها أروع العقائد وأرسخ الإيمان إلا إذا اتصلت بهذا القرآن واستمعت إليه وفتحت أنظارها لهديه(١).

سادساً: صفات جامعة:

وهناك صفات أخرى عديدة لعل أهمها الشجاعة والجرأة ما دام الداعية على حق في مواجهة باطل، وهي صفة يسقط عندها كثير من الدعاة إلا من عصم الله وسدد، ذلك أن فتن الحياة كثيرة، فهذه رغبة في مال أو منصب تُثني، وتلك رهبة عن طريق رزق أو ولد تصد، وهذا سلطان يخيف، وذاك جبار يُقعد، إن الفتن من حول الإنسان كفيلة أن تقعد الداعية وتثنيه عن قولة الحق والصدع بها ما لم يكن معه من الإيمان وحب الحق والطهر ما يجعله يوضح معالم الهدى ويعلي كلمة الله تعالى.

والشجاعة في الجهر بالحق عند الشيخ تنبعث من اجتماع خلقين عظيمين؛ أولهما: امتلاك الإنسان نفسه، وانطلاقه من قيود الرغبة والرهبة، وارتضاؤه لوناً من الحياة بعيداً عن ذل الطمع، وشهوة التنعم، فكم من داعٍ يبصر الحق ويقدر على التذكير به، ولكنه يحتبس في حلقه فلا يسمع به أحد، لماذا؟ لأنه لو نطق لحرم من هذا النفع، أو لغضب عليه هذا الرئيس، أو لفاته هذا الحظ، فهو إيثاراً لمتاع الدنيا يلزم الصمت ويظلم اليقين(٢).

(١) راجع تركيز الشيخ على القرآن والاهتمام بفهمه في هموم داعية، ص ٣١-٣٣- ١٤٧-١٤٩، ومشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص ٨٢-٨٣ ضمن سلسلة كتاب الأمة، كنوز من السنة، ص ١٢-١٤، والغزو الثقافي، ص ٢١١-٢١٤، ومع الله، ص ٢١-٣٧٧، وما بعدها، ولعل أكبر ما يشير إلى ذلك عند الشيخ مؤلفاته التي خلفها عن القرآن وتفسيره.

(٢) مع الله، ص ١٩٢.

ومن هذه الصفات الجامعة التواضع والرحمة والتهلل والبشاشة والإنصاف والمروءة والوفاء وكل ما يزين المسلم فضلاً عن الداعية[1].

وأختم بكلمة للشيخ تعبر أصدق تعبير وتدل أتم دلالة وأصدقها على ما يجب توفيره في الداعية، بحيث تصير هذه الكلمة علماً يهتدى به ووميضاً يبرق للعاملين، يقول: ولو ذهبنا نستقصي الخلال التي تلزم لمن يتعرضون لهذا المنصب لطال حبل الحديث، فلنكتف بذكر هذه الحقيقة، إن الداعية يؤدي وظيفة سبقه النبيون إليها، وإنه أحق الناس باقتباس شمائلهم، والاقتداء بهداهم، وأخذ الأسوة من محياهم ومماتهم، وأنجح الناس في أداء هذه الرسالة من ترى وراثات النبوة في خلقه وسلوكه، وعبادته وجهاده وتضحياته، وكبريائه على الدنيا، ومقاومته لفتنتها، ومعاملته لذوي السلطان غير راغب ولا راهب[2].

(١) راجع مثلاً: الحق المر، ص ١٢١، وفي موكب الدعوة، ص ٧٣، وتأملات في الدين والحياة، ص ١٨٧-١٩٠، طبع دار الدعوة الإسكندرية، ط. أولى ١٤١٠ه.

(٢) مع الله، ص ١٩٤-١٩٥.

الداعية العصري.. كيف يتعامل مع الإعلام؟

أسامة الهتيمي

لا شك أن الرسالة الأولى للداعية المسلم هي توصيل الرسالة كما أنزلها الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد ﷺ لكل مكلف، سواء كان من المسلمين أو من غيرهم، بل إن الهدف الأساسي للجهاد في سبيل الله عز وجل إزالة العقبات الصلبة عن طريق الدعوة حتى يمكن إبلاغها وتوصيلها.

وما أكثر العقبات القديمة التي كانت تقف في وجه الدعوة، بدءاً من المنع والمصادرة، مروراً بقلة عدد الدعاة، انتهاء بصعوبة الحركة والانتقال.

ويمكننا القول بكل ثقة: إن هذه النوعية من العقبات أصبحت من مخلفات الماضي، أو على أقصى تقدير صارت باهتة لا تمثل التحديات الحقيقية في وجه الداعية المعاصر، فثمة تغيرات كثيرة حدثت في العقود الأخيرة الماضية؛ كالثورة في الاتصالات وحرية تداول المعلومات والمعارف، وكان من المنتظر أن يحقق ذلك نجاحاً منقطع النظير للنشاط الدعوي، وهو الأمر الذي لم يحدث بالشكل المطلوب، وكانت النتائج المتواضعة الملموسة للمتابع تثير عاصفة من التساؤلات عن الخلل الذي أدى بالدعاة لعدم استثمار الإعلام الجديد وتقنياته في توصيل الرسالة.

الإعلام الإلكتروني:

المقصود بالإعلام الجديد الذي أحدث هذا الحراك في مهارات الاتصال هو «الإعلام الإلكتروني»، ويأتي في القلب منه وسائل التواصل الاجتماعي، فعلى الرغم

من الأهمية الكبيرة للقنوات الفضائية وما أحدثته في وقتها من زخم، فإنها تبقى باهظة الثمن، ليست في متناول معظم الدعاة، ويسهل السيطرة عليها أو حتى إغلاقها، بينما الشبكة العنكبوتية زهيدة التكلفة سهلة الاستخدام ومتنوعة يصعب حجبها، والأهم من ذلك كله توافر تواصل فائق بين الداعية والمدعو.

الحقيقة التي لا يمكن إغفالها أن هناك نتائج رائعة تم تحقيقها، فبإمكان امرأة تجلس في عقر دارها أن تحفظ القرآن الكريم بعد أن تستمع لأجمل التلاوات الخاشعة وتجد من يسمع لها أيضاً، وتجد أشهر وأندر كتب التفسير أو تجد المحاضرات الميسرة التي تشرح لها بأسلوب عصري بسيط، ليس ذلك فحسب؛ بل تجد الصحبة الصالحة التي تعينها، كل ذلك ولم تتحرك من بيتها ولم تنفق أكثر من ثمن باقة الإنترنت وهاتف ذكي بسعر زهيد.

مهارات النشر:

يبدو من الأهمية بمكان التأكيد على أن ساحة النشر الإلكتروني ساحة مفتوحة للجميع، وبالتأكيد ليست حصرية للدعاة، فهي للدعاة وأيضاً لخصومهم وللمشككين والمتطرفين الإرهابيين ولشتى الملل والنحل القديمة والمعاصرة، وأيضاً لأصحاب لهو الحديث ونشر الرذائل الذين أبدعوا في التصوير والمونتاج والقوالب حد الإبهار، ولعل هذه هي النقطة المركزية التي تجيب عن كثير من التساؤلات التي يأتي على رأسها: لماذا ينجذب الجمهور لصفحات وقنوات تبث التفاهة والسفاهة ولا يهتم بأخرى رصينة جادة هادفة؟ إنه تحدي الشكل والمضمون، فأي تعاسة ربطت بين المضمون ذي الجودة العالية والشكل السقيم الجامد!

إذا أراد الدعاة أن تكون «السوشيال ميديا» طريقهم للقلوب والعقول فعليهم أن

يحترفوا أدوات وتقنيات وفنيات الإعلام الجديد، بدءاً من الفئة المستهدفة، فلكل فئة مستهدفة المنصة الخاصة التي تناسبها، فالشباب يفضلون «أنستجرام»، والمثقفون يفضلون «تويتر»، و«فيسبوك» قد يناسب الجميع، ولكن الفئات الأكبر في السن تفضله أكثر، وهكذا لكل منصة جمهورها.

أيضاً لكل فئة مستهدفة نمط من الخطاب يختلف عن باقي الفئات، فالداعية الذي يتوجه للشباب لا بد أن يعرف أشهر المصطلحات الدارجة بينهم، والقضايا التي يهتمون بها، والتحديات التي تشغلهم، والأهم من ذلك الطريقة التي تصل لقلوبهم، بل إن شريحة الشباب تنقسم لأقسام متعددة تختلف بحسب الطبقة الاجتماعية والاقتصادية، ولكل فئة خطاب مختلف، وإن كان مضمون الدعوة الدينية واحدة وثوابتها واحدة، لكن الخطاب مختلف ومتعدد.

والداعية الذي يتجه بخطابه لغير المسلمين لا بد أن يدرك المخاوف التي تدور في عقول من يتوجه لهم بالخطاب.. الشبهات التي تعرضوا لها.. نمط الحياة المعقدة التي يعيشونها.. ما الذي يحتاجونه؟ وماذا بإمكانه أن يقدم لهم؟

الدعاة «الإنفلونسرز»!

كان من نتائج تفاعل الدعاة مع منصات الإعلام الجديد بزوغ نوعية جديدة من الدعاة ممكن أن نطلق عليهم الدعاة المؤثرين أو «الدعاة الإنفلونسرز»، وهؤلاء هم الدعاة الذين استطاعوا فهم الآلية التي تعمل بها منصات الإعلام الجديد، ولديهم طريقتهم الخاصة والمشوقة في جذب الفئة المستهدفة، وهناك ثقة عالية بينهم وبين جمهورهم الخاص، وهؤلاء الدعاة يختلفون تماماً عن دعاة الفضائيات، وبالطبع يختلفون عن الدعاة الرسميين ممن يتولون الخطابة.

المشكلة التي تواجه «الدعاة الإنفلونسرز» أن البعض منهم علمه الشرعي محدود، وهذا ما يجعلهم في مهب عواصف النقد، خاصة عندما يتجاوزون إطار الرقائق والأخلاق وقيم التنمية الذاتية، وهم منتقدون حتى في هذه المساقات، فهم متهمون بـ«لبرلة» الإسلام (الإسلام الليبرالي) وتسليع الدين، وتقديم لون من الإسلام يطلقون عليه «إسلام السوق»، حتى إن بعضهم وصفهم أنهم يمثلون مرحلة «ما بعد الإسلاموية»، وأن هؤلاء الدعاة يمثلون تجسيداً لضياع الحلم الإسلامي الكبير في التغيير الشامل، ويكتفون بتقديم حالة من التدين المريح بلا أعباء حتى يستريح الضمير الفردي.

والحقيقة أن هذا النقد بالغ التعسف، ولا يلمس أرض الواقع، فالفرد هو أساس المجتمع، والقيم التي يسعى هؤلاء الدعاة لترسيخها هي القيم الأساسية التي تنبني عليها شخصية الفرد، خاصة وأن الملايين من متابعيهم من الشباب صغير السن الذين يواجهون خطر التذويب في ثقافات أخرى يراد لها أن تمثل الهوية الجديدة لمجتمعاتنا، وفي مقاربة أخرى، فهؤلاء الدعاة المؤثرون يقدمون دعوة جزئية، ولكنها بالغة الأهمية خاصة في عصر يتسم بالتخصص، فلا معنى للدعوات الكبيرة دون خطوات صغيرة تفصيلية تلامس الأمور الدقيقة.

دعوة متجددة:

على أي حال، هذه الجهود التي يقدمها «الدعاة المؤثرون» هي أفضل من لا شيء، خاصة مع بعض الفئات والطبقات التي يصعب على الدعاة التقليدين إزالة الحواجز القائمة بينهم.

ويبقى امتلاك هؤلاء المؤثرين لمهارات لغة الجسد المناسبة وتعبيرات الوجه

المتفاعلة ونبرات الصوت القادرة على التواصل وفهم سيكولوجية الفئة المستهدفة ومهارة التعامل مع منصات «السوشيال ميديا» وقدرتهم على التفاعل الحي مع الجمهور الخاص بهم.

وعلى الداعية المعاصر أن يجيد «غربلة» قضاياه لانتقاء ما يحتاجه الناس في اللحظة الراهنة، وليس عليه أن يكون حائط دفاع لما يثيره الآخرون، بل عليه أن يكون المبادر بتوجيه الرأي العام، فالمنصات الجديدة لا بد أن يواكبها فكر جديد وقضايا جديدة وحلول جديدة تصب في النهاية لخدمة مشروعه الأساسي، وهو توصيل رسالة رب العالمين.

العقم الدعوي أثر لجمود الداعية

عامر شماخ

في الواقع أن مشكلة جمود الداعية تتمثل في غياب الخطط والإستراتيجيات، والاستمساك بالقديم، والنفور -من ثَمَّ- من الجديد، وقد جهل بعضُهم ما أحدثته ثورة المعلومات التي قلبت الموازين وغيَّرت المفاهيم، وأوجدت طرقًا عصرية للدعوة، وإن غياب هذه الطرق لدى الأفراد والجماعات الدعوية أقعدهم عن إفادة المدعوين، كما أفقدهم الروافد والأنصار، فوقع ما يُعرف بـ«الانسداد الدعوي».

فقه الأولويات:

وآفة البعض في ترتيب الأولويات، فلم يبدأ بما بدأ به المعصوم ﷺ وصحابته الميامين ومن بعدهم السلف الكريم، إنما وضع لنفسه أنموذجًا خاصًّا ظن أنه يوصِّل إلى الغاية نفسها، وهذا زهوٌ منهيٌّ عنه، وإقدام في غير محله، وأساس على أرض هشّة، أما مقولة «هم رجالٌ ونحن رجال» فهذا ضربٌ من الانتفاخ الكاذب؛ ذلك أن دعوة الله واضحةٌ معالمها، معبدةٌ طرقها لمن سلكها المسلك الصحيح ولم يأتها من دروب غير مأهولة.

لقد قدَّم الله -تعالى- الفهم على العبادة، في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [مُحَمَّد:١٩]، وهذا مدار الإسلام كله؛ فالعالم -الحق- أشد على الشيطان من ألف عابد، والفقيه أرفع درجة وأعلى كعبًا من حافظ النصوص ولا يدري ما فيها، وإن انحسار بعض الدعاة في جانب دون آخر من جوانب الشرع لهو

حبسٌ للإسلام نفسه، بالتقوقع داخل أنماط وقوالب نصية لا روح فيها، لا تناسب العامة ولا تنقلهم من الدهماء إلى الصفوة، بل تضع الحاجز بعد الآخر حتى يبدو الدين في نظر العوام كأنه ألغاز وأساطير.

واجباتُ داعية اليوم:

عليه؛ من التكاليف المفروضة على داعية اليوم؛ أن يحقق في نفسه قاعدة: «رحم الله رجلًا عرف زمانه فاستقامت طريقته»، فوجب أن يكون ملمًّا بالمستجدات، ماهرًا في وسائل ووسائط الدعوة الحديثة التي أزالت الحواجز وقرَّبت المسافات وأتاحت ما لم يكن متاحًا من قبل، وقد نقلت هذه الوسائل الدعوة من المساجد إلى رحاب المعمورة، فليس من المنطقي أن يسوِّق الجميع لدينه ومذهبه ولا يزال داعية الإسلام رهين الوسائل التقليدية التي ربما انفضّ عنها المدعوون أو زهدوا فيها.

كما على داعية اليوم أن يكون حازمًا في رأيه، واضحًا في اختياراته، من دون «ميوعة» أو تردد، بعدما كثر المتهتكون الذين يبيعون دينهم بدنيا غيرهم، وهذا يقتضي الإخلاص والزهد، والجرأة بالحق، وأن يستعلي بإيمانه وما وقر في قلبه على من يريدون أن يطفئوا نور الله.

التجديدُ ضرورةٌ شرعيةٌ:

إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».. هذا حديث صحيح يؤكد أن «التجديد» في الدين ضرورة شرعية، وحاجة دعوية، وضمانة لحفظ هذا الدين من التبديل والتحريف كما وقع للأديان السابقة، وقد حصر بعض علمائنا -بالفعل- مجددي القرون المتعاقبة؛ الذين كان لهم الفضل في إنهاض أبناء هذا الدين من كبواتهم، والتجديد في وسائل نشر دعوته، وفي فهم نصوص الكتاب

والسنة، وفي اكتشاف العلل التي خفيت على من قبلنا.

والتجديد متاح في كل وقت وفي أي مكان -لكن بشروطه؛ ومنها ألا يطال الأمور التوقيفية أو القطعية التي لا خلاف فيها، وأن يكون بغرض التيسير على المسلمين وفتح الطريق أمامهم لتمتين الأخلاق وتأسيس الحضارة، ومدّ حبال التواصل مع «الآخر»، وإظهار محاسن الدين، وعفو الله ورحمته، فما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، وقد ورد عنه ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، وبشّروا ولا تنفروا»، «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم».

الداعيةُ القدوة:

ومن المفترض في الداعية لكسر حلقة الجمود وتفادي العقم الدعوي؛ أن يكون أولًا وقبل كل شيء قدوة في أخلاقه وسلوكه، يؤتم به في القول والعمل، له دوره الفاعل في الذبِّ عن الدين وحماية ثغوره، لا يغفل لحظة عن تفقد جهاته ومراجعة تحصيناته، منتظرًا الأجر من الله كما جاء في آيات وأحاديث شتى؛ «إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء. قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس»، «من تمسّك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد».

والداعية أبعد الناس عن اليأس والقنوط، بل هو روح لبث الأمل في نفوس الحيارى والمحبطين، وقطع الطريق على كل محاولة للتواكل والقعود؛ بأن يكون هو أولًا معبأ بهذا الأمل، شكلًا ومضمونًا لا رياء وتصنّعًا، وهذا لا بد له من يقين قلبي ووقود شعوري، واطلاع عميق في سير الأنبياء والصالحين وما كوفئوا به على اصطبارهم ورباطهم دون أن يتطرق إليهم شك أو يصيبهم جزع؛ لعلمهم أن العقبى

للمتقين وأن ما مسّ طائفة منهم من يأس كان من الشيطان الذي أعجلهم بأمانيه الكاذبة فصدقوه، ثم فاؤوا إلى ربهم فكان لهم الجزاء الحسن والنصر المبين.

وبمثل هؤلاء تنتصر الدعوات، وتنصلح الأحوال، ويظل أهل الحق شوكة في حلوق الظالمين، ومصدر إيلام وغيظ للمجرمين، وهم المقصودون في الآية: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الأحزاب:٢٣]، المذكورون في حديث النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة». وإن آثار هؤلاء الكبار تدل عليهم، وقد أعطوا للشباب المثل والأسوة في الصبر والرباط، وهي أمثلة عملية واقعية، ولولاهم لانتقض الكثيرُ من عُرى الدين، فهم صمّام الأمان، والحجر الذي لا يلين، والنصل الذي لا ينكسر، والمرجعية والخبرة، وبهم تتحقق معاني: الأُخوة والنصرة والبر والتقوى.

الدعاة والإعلام الجديد.. بين الفرص والتحديات

همام الطوالبة

إن الداعية المسلم هو وارث مهمة خاتم المرسلين محمد ﷺ في الدعوة إلى الله، وفي الدعوة إلى منهجه الحكيم، ليدل الناس أجمعين إلى طريق سعادتهم الحقيقية في الدنيا والآخرة.

وإن كل مسلم يؤدي دوراً من أدوار الدعوة إلى الله، امتثالاً لأمر النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَة» (رواه البخاري)، ففي الحديث تكليف وتشريف وتخفيف؛ تكليف لأنه جاء بصيغة الأمر «بَلِّغُوا»، والأمر يدل على الوجوب، وتشريف لأنه تبليغ عن رسول الله ﷺ «عَنِّي»، وهو أكرم رسُل الله على الله، عليه أفضل الصلاة والسلام، وتخفيف لأنه لا يطالب المسلم إلا بتبليغ ما يعلم، ولو كانت آية من كتاب الله تعالى.

والداعية المسلم ابن زمانه، يوصل رسالة الله للناس، ويلبي حاجات عصره ويجيب عن أسئلة زمانه، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يُوسُف:١٠٨].

واليوم وفي عالم القرية العالمية الصغيرة، وجد الداعية نفسه أمام تحديات وفرص جديدة فرضها عليه عصره والإعلام الجديد الذي أنتجه، في هذا المقال نحاول أن نقرأ بعض تحديات وفرص هذا الإعلام، وأثرها في تغيير الخطاب الدعوي الإسلامي المعاصر.

إعلام القرية العالمية الصغيرة:

كان دخول البشرية في عصر الإنترنت وما تبعه من وسائل التواصل الاجتماعي وتقنيات الذكاء الاصطناعي حدثاً هائلاً في تاريخ الإنسانية، لما أحدثه من تغييرات كبيرة في مختلف جوانب حياتها المادية والمعنوية، ومنها الإعلام.

ففي عصر التقنية والثورة الرقمية، استطاع الإنسان الفرد، وعن طريق جهازه الذكي، أن يختار المحتوى الإعلامي الذي يريد، ويصنعه وينشره، نصاً كان أم صوتاً وصورة، بأقل التكاليف، وبعيداً عن أجهزة الرقابة الرسمية، ليصل بسهولة إلى الملايين من الناس، الذين لهم حق التفاعل مع هذا المحتوى إعجاباً أو رفضاً أو تعليقاً أو مشاركة، ليدخل العالم في عصر التفاعل الإنساني العالمي والقرية الصغيرة.

وعن طريق الذكاء الاصطناعي، استطاعت مواقع وسائل التواصل الاجتماعي أن تحلل وتنتخب لروادها المواد التي تجذبهم وتعجبهم وتتوافق مع سلوكهم على منصاتها، فتطول مدة اتصالهم بها ليكونوا مادة إعلاناتها التجارية، كما رصد ذلك الفيلم الوثائقي الأمريكي «معضلة وسائل التواصل الاجتماعي» (The Social Dilemma).

وقد أثرت هذه التغيرات الإعلامية على حياة الإنسان النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وصنعت فروقاً كبيرة بين الأجيال، مما زاد من صعوبة تقديم المادة الإعلامية والتربوية المناسبة لهم.

تحديات الدعوة إلى الله في عصر العولمة:

أن يكون العالم قرية عالمية صغيرة فهذا يعني عولمة المشكلات الإنسانية، وظهور تحديات جديدة ومختلفة أمام الدعاة إلى الله ومنهجه.

ففي عصر الإعلام الجديد، تَعرض كل الأمم البشرية أفكارها، بغض النظر عن قيمتها العلمية والعملية، وتحمل معها الشبهات التي تهاجم الإسلام وأهله، تحت إشراف كبار المستشرقين والملحدين؛ مما يهدد أمن الأمة الإسلامية في بعده العقدي والقيمي والمجتمعي.

وعن طريق الشبكة العنكبوتية انتشرت المواد الإباحية الجريئة والمتجددة، من كل أنحاء العالم إلى كل أنحاء العالم، بأقل التكاليف وأرخص الأثمان، لتَدخل هذه القاذورات إلى البيوت بدون إذن أهلها، وتحرق الشباب بشهواتها؛ مما أضر بالأخلاق والذوق العام والحياة الاجتماعية.

وساهمت التقنية وما يرتبط بها من وسائل في ظهور نظام يرعى التفاهة ويحتضن التافهين، من منصات الرقص والعري إلى الألعاب الإلكترونية، وبات كثير من الشباب يقتل وقته وينتقص حياته، ويقضي عمره في صناعة التافه والهزيل ومتابعته، دون أي قيمة حقيقية له ولمجتمعه.

فرص الإعلام الجديد:

ولكن، وفي المقابل، وجد الداعية نفسه أمام إعلام جديد وفضاء مفتوح يوفر له فرصاً مهمة في الدعوة، لم يكن يحلم بها سابقاً.

فقد وفر الإعلام الجديد فرصة الوصول إلى العلماء والمختصين والدعاة في مختلف أنحاء العالم ومن مختلف التخصصات، ليستفيدوا من بعضهم ويتبادلوا خبراتهم، كما وفر لهم فرصة الاطلاع على آراء الناس وأحوالهم لرصد توجهاتهم واحتياجاتهم ومشكلاتهم، كمرحلة أولى لتشخيص الواقع قبل أن التحرك فيه.

وزاد الإعلام الجديد من مساحة الشريحة التي يمكن للداعية أن يصل إليها، في

أسرع وقت وأقل جهد وأخفض تكلفة، وصار له أن يقيم أشكالاً مختلفة من برامج الدعوة الإلكترونية على مستوى العالم، من محاضرات وندوات ودورات وصولاً إلى المؤسسات العلمية الجامعة كالمعاهد والجامعات.

الإعلام الإسلامي المنشود:

مما لا شك فيه أن هذا الدين برسالته الربانية هو الأقدر على حل مشكلات العصر ورعاية حقوق الإنسان، وواجب الدعاة إليه اليوم أن يحسنوا تقديمه للناس، بأنسب محتوى وأحسن طريقة.

فمن واجب الدعاة اليوم أن يقدموا دينهم للعالمين وفق منهج علمي قويم، يطلب الدين الحق ويبحث عنه، ويقيم البرهان الساطع على صحته، ويرد على شبهات مخالفيه، كما صار من واجبهم فهم خريطة الأفكار في العالم كله بشمول وإنصاف، ليكون المحتوى الدعوي مقبولاً عند منصفي الناس، ويلامس عقولهم وقلوبهم، ويجيبهم عن أسئلتهم ويلبي احتياجاتهم، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النَّحل:١٢٥].

ومن أبرز الأمثلة على المحتوى الأنسب في هذا العصر تقديم إجابات علمية واضحة بمختلف لغات العالم عن أسئلة الإنسان الوجودية: «من أنا؟ ولمَ خلقت؟ مَن خلقني؟ وماذا بعد الموت؟ وما المنهج الذي يجب أن أسير عليه في حياتي لضمان سعادة العاجل والآجل؟»، وتقديم معالجات إسلامية واعية لمختلف مشكلات العصر، تستمد من الأحكام الشرعية وما يتعلق بها من مقاصد وحِكَم، وتستفيد من المعالجات العالمية والتجارب الإنسانية وفق منهج «الحكمة ضالة المؤمن»، والأمثلة كثيرة والقائمة طويلة.

ثم يقدم هذا المحتوى في صورة عصرية عالمية جذابة تراعي جودة الصوت والصورة، تستثمر في الأفلام والمسلسلات، وفي مجموعة من المنصات، لتغطي مهمة تعليم القرآن وأحكام الإسلام، وتعليم اللغة العربية، والتربية الرقمية، وهذا يحتاج إلى مساعدة ومساندة من عامة السلمين، في بذل الأموال أو في دعم انتشار هذه المواد عن طريق الإعجاب والتعليق والمشاركة.

إن مهمة الداعية اليوم لم تعد سهلة، خاصة في فضاء إعلامي مفتوح لا يحفل القائمون عليه بالإنسان والقيم، ولكن علينا أن نتذكر جيداً أن هذا الإعلام الجديد مجرد وسيلة، يمكن للداعية أن يستفيد من منصاته ليتجاوز تحدياته ويستثمر في فرصه، إن آمن -أولاً وقبل كل شيء- بفكرته، ذلك الإيمان الحار المخلص الذي أشار إليه سيد قطب، رحمه الله، حين قال: «آمن أنت أولاً بفكرتك، آمن بها إلى حد الاعتقاد الحار، عندئذ فقط يؤمن بها الآخرون، وإلا فستبقى مجرد صياغة لفظية خالية من الروح والحياة، لا حياة لفكرة لم تتقمص روح إنسان، ولم تصبح كائناً حياً يدب على وجه الأرض في صورة بشر، كذلك لا وجود لشخص، في هذا المجال، لا تعمر قلبه فكرة يؤمن بها في حرارة وإخلاص» (كتاب «أفراح الروح»).

الداعية الأريب في زمن «جيل الإنترنت»

عامر شماخ

لمقصود بـ«جيل الإنترنت» (Net Generation) هم من وُلدوا بعد عام ١٩٩٠ ليعاصروا حقبة الشبكة العنكبوتية التي يؤرخ لها من عام ١٩٩٨ إلى الآن، ويُطلق عليهم أيضًا «جيل الألفية الثالثة»، أو «جيل القرن الحادي والعشرين»، أو «الجيل الرقمي»، الذي يشهد ويتفاعل مع تطورات هائلة في وسائل الاتصال والمعلومات وتطبيقاتها، ولغته في ذلك هي «اللغة الرقمية» بكل ما تحتويه هذه اللغة من مداخل ورموز صاروا يتقنونها.

وهناك فروقات جوهرية بين هذا الجيل ومن سبقه من الآباء والأجداد، جعلت بين الجيلين خلافات عميقة حتى أطلق بعض الباحثين لفظ «المهاجرين» على الأجيال السابقة؛ لما يشعرون به -حسب دراسات- بالغربة بين أبنائهم، وعجزهم عن التفاعل معهم مثلما كان حالهم مع آبائهم، وهذا الجيل هم المستخدم الرئيس لوسائل التواصل الاجتماعي، والغالبية العظمى لمرتاديها.

في ذكرى اليوم العالمي لوسائل التواصل الاجتماعي (٣٠ يونيو ٢٠٢٢) بلغ عدد مستخدمي هذه الوسائل النشطين ٤,٧٢ مليارات مستخدم في اليوم الواحد؛ أي ٦٢٪ من سكان العالم تقريبًا، أما أكثر الفئات العمرية استخدامًا لها فهي فئة الشباب (١٨ - ٢٩ عامًا)؛ حيث يقضي كل شخص من هؤلاء -في المتوسط- نحو ٣ ساعات من وقته يوميًّا على منصات التواصل المختلفة.

إننا، إذن، أمام عالم من المدعوين يُقدَّر بالمليارات، وهو ما لم يحدث في

التاريخ، وأمام فرص هائلة لإدخال الإيمان في قلوب الكافرين، وإيقاظ الغافلين الشاردين؛ ما يبشِّر بقرب تحقق حديث النبي ﷺ: «ليبلغنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنهارُ، ولا يترك اللهُ بيتَ مدرٍ ولا وبرٍ إلا أدخله اللهُ هذا الدينَ بعزِّ عزيزٍ أو بذلِّ ذليل»، وهذا يقتضي دخول الجميع برسوخ إلى هذه الساحة، والتعرّف على مميزاتها والاستفادة منها، وإحداها عِوضٌ عن عشرات من الوسائل القديمة؛ من حيث: التفاعلية، وسهولة الاتصال، وسهولة تخزين المعلومات، وسعة الانتشار.. إلخ، وهذه فرصٌ لجذب الشباب، والرد على الشبهات، وبيان سُبل السلام.

وللأسف، لا يزال نصيب الدعوة الإسلامية على الشبكة العنكبوتية هزيلاً، مقارنة بالديانات الأخرى؛ إذ تستحوذ على عُشر ما تستحوذ عليه المسيحية التي تبتلع ٦٢٪ من الصفحات الدينية على «الإنترنت»، وإلى الآن لم نسمع عن مواقع عربية رسمية موثوقة تردّ الهجوم على الإسلام الذي تشنه آلاف المواقع المعادية، بل رأينا موانع وقيودًا بالجملة أمام مبادرات شعبية لتبني هذا الدور وتصحيح صورة الإسلام على الشبكة التي تموج بالأفكار التي يعادي جلُّها الإسلام والمسلمين.

لكن، يبقى الداعية الأريب الذي يستغل هذا الفضاء الهائل في حصد الفرص الدعوية، والاستعانة بالجهود المتاحة التي لا تُحصى في الوصول إلى أكبر عدد من المدعوين، وهدايتهم إلى طريق الله المستقيم، وألا يتخذ «الإنترنت» وسيلة للتكسُّب أو المنافسة على نسب المشاهدة، ومفتاح النجاح في هذا الأمر القدوة؛ فإن مكانة الداعية الآن -وبعد هذه التطورات- تتوقف على إخلاصه وفهمه وحكمته، وكم سقط دعاة لما حسبوا أن المجال الفضائي كمجال المسجد أو المحاضرة، أو أن الأتباع هم الأتباع، إطلاقًا؛ فإن الفرص أمام المتلقي الآن متعددة، وهو يستطيع التحول بضربة زر إلى داعية آخر إن لم تتوافر فيك الخصال التي ذكرناها.

ما أكثر الدعاة على الإنترنت، وما أقل من يفيدون الدعوة، رغم وفرة المادة وكثرة المدعوين، لا نقول ينقصهم الإخلاص، إنما ينقصهم الفهم الذي هو أساس كل نجاح، وينقصهم التمييز بين ما كان بالأمس وما هو كائنٌ اليوم، وصدق القائل: «رحم الله رجلاً عرف زمانه فاستقامت طريقته».

يمكن الآن إيجاد عشرات المشروعات الدعوية الناجحة بجهود بسيطة للغاية، غير أنها تتطلب شبابًا من جيل «الأندرويد» الذين يعرفون خبايا منصات التواصل وكيفية الوصول إلى المدعوين والنفاذ إلى المجتمعات المختلفة، ومتى يتقدمون، ومتى يمتنعون وهذه لغة جديدة لا أعتقد أن الأجيال القديمة تستوعبها كما يستوعبها شباب اليوم.

إن خطبة رجل في عشرة أو عشرين رجلاً في المسجد لم تعد ذات أثر مثل «فيديو» قصير يشاهده الآلاف في ساعة أو بعض ساعة، وإن «جروب» على إحدى المنصّات يغني عن مائة مؤتمر أو ندوة على الأرض، هذا يعني ببساطة حتمية صناعة رموز ومن ثم دعمها في الانتشار، وهذا ما يفعله الكثير من الخصوم، والدعم هنا يعرفه الشباب الذين يفهمون ما أقول، وأن هناك لجانًا ترفع من تشاء وتحظر من تشاء.

لقد صارت منصات «الإنترنت» أكبر منافس للمنبر والكتاب، والمسلم الذي كان يجد مشقة قبلها في الوصول إلى داعية واحد يصله الآن حتى مخدعه ومن دون جهد ألف داعية يختار من بينهم من يشاء، ويمكن للمسلمين عمومًا التصدق على دينهم ببعض أوقاتهم في عرض أفكار ورؤى الإسلام التي غابت حتى عن كثير من المسلمين، ويمكنهم إبداع أعمال ومنصات تحتوي مجالات الدعوة كافة من أعمال بر، ومكافحة عُرى، وتوجيه الشباب والنشء، وتمهيد الطريق أمام من ضلوه أو تنكبوه، وإرشاد الحائرين إلى فضل وعظمة هذا الدين.

وإذا كانت ثمة تجارب للدعوة على «الإنترنت» في الفترة الماضية نجح بعضُها وأخفق البعضُ الآخر؛ فلأن هناك مفاتيح للنجاح عند التعامل مع تلك الوسائل أخذ بها الذين أحرزوا تقدمًا وثبَّتوا بها أقدامهم؛ منها أن يكون الداعية قدوة ذا سلوك حسن، متحليًّا بالعلم والعمل معًا، معروفًا بالوعي والحكمة، لا يبرر القبح للوصول إلى غايته، غير متطلع إلى مكاسب شخصية، وأن يكون مؤمنًا إيمانًا عميقًا بما يدعو إليه، واضعًا نُصب عينيه قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يُوسُف:١٠٨].

الدعاة و«الميديا».. ما يطلبه المستمعون

مروة عبده

شهد العقد الأخير من القرن الماضي تحولات ضخمة في مجال الاتصال وتكنولوجيا وسائل الإعلام؛ مما مهد الطريق نحو ظهور تجليات عدة للتفاعل المباشر والمستمر فيما بين عناصر العمليات الاتصالية المختلفة، وجعل انتقال المعلومات والبيانات أيسر وأسرع من أي وقت مضى.

وقد بدا للوهلة الأولى بأن تلك الثورة التكنولوجية الضخمة أداة فاعلة وقوية في مجال الدعوة الإسلامية، إذ يمكن عبر توظيفها نشر القيم الإسلامية السمحاء وتوعية المسلمين بدينهم وتصحيح المفاهيم وإجلاء الحقائق وبث الوعظ بطرق جديدة تضمن التفاعل والتواصل فيما بين الداعية والجمهور، وتفتح آفاق الفهم والعمق على مصراعيهما.

وقد أنتجت تلك الثورة التكنولوجية ظاهرة «الدعاة الجُدد»؛ إذ مثلت شاشات الفضائيات ساحة رئيسة لتقديم دعوة إسلامية بروح عصرية وطرق مستحدثة كُلياً، فتميز هؤلاء الدعاة الجُدد بعدد من الخصائص التي عكست مدى اختلافهم عن الدعاة الكلاسيكيين، فمن حيث المظهر والزي اختار هؤلاء الدعاة مظهراً عصرياً شبابياً بعيداً عن الشكل التقليدي للداعية المُعمم، واستخدموا لغة سهلة وبسيطة لبث محتواهم الدعوي لأكبر عدد ممكن من الناس بعيداً عن المصطلحات المتخصصة والمفاهيم المُعقدة، وجمع هؤلاء فيما بين الخطاب الإسلامي التقليدي وخطاب التنمية البشرية الذي يحض على العمل والتفاؤل والإقبال على الحياة والرقائق وفضائل الأخلاق،

وحظوا نتيجة لذلك بشهرة واسعة جعلت منهم نجوم مجتمع، فلم يعد الداعية عالماً زاهداً يخاطب الناس من برجه العاجي ومكانته العالية وهيبته الطاغية، بل هو واحد من هؤلاء الناس من نفس فئتهم العمرية ويرتدي رداءهم ويتحدث بلغتهم.

فهل كان ذلك نصراً للدعوة الإسلامية؟

إن الإجابة عن ذلك التساؤل تستدعي التعمق أكثر بشأن تاريخ الخطاب الإسلامي والعلاقة فيما بين الدعاة والفقهاء من ناحية، وجمهور المسلمين من ناحية أخرى، إذ فرضت طبيعة العصور ما قبل التكنولوجية الحديثة على الفقهاء والدعاة أدوات غير ذات انتشار كبير فيما بين عموم المسلمين، فبثوا أفكارهم إما عبر الكتب التي تطلبت إلماماً بالقراءة والكتابة وحسن الثقافة وسعة الاطلاع، أو عبر التواصل المباشر الفردي فيما بين الفقيه والسائل أو المستفتي، وبين الفقيه وطلاب العلم الذين يتتلمذون على يديه.

تلك الظروف جعلت عملية الاتصال فيما بين المسلم العادي والفقيه أقل تفاعلاً وتكرارية، فلم يتوفر الوقت ولا المساحة -مثلما يحدث الآن- لأي إنسان اتفق أن يلتقي بالفقيه بشكل دوري ودائم ليسأل ما يحلو له من الأسئلة، ولم يتلق الفقهاء ردود الفعل حول آرائهم وفتاواهم بشكل آني، وقد حظوا نتيجة لذلك بالوقت الكافي لبلورة دعوتهم الإسلامية والخوض العلمي المتعمق المتفقه في كافة المسائل والأمور، وأسعفتهم الظروف لصياغة رؤى فقهية وإسهامات دينية في سائر القضايا التي عايشوها في عصورهم.

أما الآن، فالأمر قد اختلف إلى حد بعيد، فالفقيه والداعية في اتصال دائم ومستمر بجمهوره، وهو في مرمى ردود الفعل الآنية أو اللحظية بفضل وسائل الاتصال الحديثة، فلا يكاد يدلي برأي حتى ينهال عليه وابل من ردود الفعل الغاضبة

أو المؤيدة، بما يضع الداعية في حرج من الخوض في المسائل التي قد تغضب الجمهور أو لا تتوافق مع الميول العامة للمتلقين، وإن كانت من صميم الدعوة الإسلامية ومن قضاياها الجوهرية، وأصبح لأي إنسان أن يسأل أي سؤال -أو أسئلة عدة- للفقيه والداعية لكي يجيب عنها، حتى لو كانت لمشكلات أو قضايا تخيلية لم تحدث أو مجرد تساؤلات نظرية تدور في ذهن السائل وحده وليس لها أي أساس من الواقع، وعلى الداعية أن يجيب.

ماذا فعلت «الميديا» بالدعوة؟

إن تطور «الميديا» قد ساهم بدور كبير وفاعل في تطوير الدعوة الإسلامية وتوسيع نطاق انتشارها وتعميق مدى تأثيرها، لكن «الميديا» كأداة لم تكن بذلك القدر من الحياد والموضوعية، فهي لم تكن مجرد وعاء للدعوة، بل تولت «الميديا» أمر الدعوة باعتبارها مهيمناً عليها وموجهاً لها، فـ«الميديا» بالأساس كيان موجه يستهدف فئات معينة ويبث رسائل مؤدلجة تحمل في طياتها أجندة الجهة الإعلامية التي تتبناها وتدير عملية الاتصال بالأساس.

من هنا، فقد طبعت «الميديا» الدعوة بعدد من الصفات التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من طبيعة الدعوة الإسلامية المعاصرة، وأخضعت الدعاة لأجنداتها بتنوعها واختلاف مشاربها، فكل قناة فضائية أو جريدة أو إذاعة تضع أسس الدعوة الإسلامية المبثوثة عبرها طبقاً لما تستهدفه من غايات ومآرب.

تسليع الدعوة:

ولما كانت «الميديا» بالأساس صناعة تجارية تستهدف الربح المادي في المقام الأول، فقد تم تسليع الدعوة لتصبح تجارة، وأصبح الخطاب الديني منتجاً استهلاكياً

يتم قولبته طبقاً لمزاج وميول الجمهور المُستهدف، وأصبحت ثقافته المخالفة والمبالغة والاهتمام بقضايا شاذة غير مطروقة وسائل متنوعة لجذب الجمهور وزيادة التفاعل الإعلامي ومن ثم تحقيق المكاسب، ولم تعد الدعوة غاية في نفسها أو رسالة روحانية مطلوبة لذاتها، وإنما وسيلة تجاريه بالأساس.

ومن ناحية ثانية، أثر التطور التكنولوجي الكبير والمتسارع على الدعوة بظهور ثورة المعلومات وفوضى المضمون، فإغراق الجمهور بكم ضخم من المعلومات الدينية والخطابات الدعوية قد عزز تشتت المسلمين عن فهم دينهم نتيجة تنوع وكثافة المحتوى المطروح أمامهم، واختلاف المنابر وكثرة الدعاة ومن ثم ضياع الحقائق وشيوع اللغط، فلم يعد المتلقي قادراً على تمييز السمين من الغث نتيجة فوضى وفائض الخطابات الموجهة إليه.

وقد عزز من تلك الفوضى تصدي كثير من الدعاة إلى توجيه الخطاب الديني دون خلفية علمية حقيقية عبر القنوات الرسمية للتعليم الفقهي والمؤسسات المعترف بها لتخريج الدعاة، حيث غاب التدقيق والتمحيص عن اختيار الدعاة لدى القنوات والإذاعات والمجلات، وأصبح المظهر أهم من المحتوى، فتضاربت المعلومات وكثرت الأغلاط، إذ لم يعد الهدف استجلاء الحقائق بقدر جذب الإعلانات وإثارة الجدل.

وجاءت وسائل التواصل الاجتماعي لتسهم بدور سلبي آخر في الخطاب الدعوي؛ إذ أصبح الخطاب الديني الموجه لجمهور «السوشيال ميديا» ذا خصائص جديدة تتسم بالسطحية والاختصار والاختزال، حيث لم يعد هذا الجمهور يحتمل الخطابات المطولة والشروح الفقهية المتعمقة، بل أصبح المطلوب خطاباً دينياً معلباً ومختصراً ويناقش قضايا بعينها هي التي تهم هذا الجمهور، حيث فُرض على الخطاب

الدعوي شكل جديد يلائم منصات التواصل وجمهورها الذي يهتم بالقشور ويسعى للتبسيط المخل الذي لا يجلي حقيقة ولا يعمق فهماً ولا يخلق وعياً.

ولا فكاك من تلك الآثار السلبية التي ألقت بظلالها على الخطاب الدعوي إلا عبر دراسة حقيقية لتلك الآثار لفهم طبيعة وسائل الإعلام المختلفة وتطوير خطاب دعوي جديد يتولى أمره فقهاء متخصصون وعلماء متبحرون يفيدون من وسائل الإعلام والاتصال الحديثة ويتلافون مضارها المتنوعة، مع إحكام الرقابة على المتصدرين للخطاب الدعوي للحيلولة دون فوضى الآراء والفتاوى وإجلاء الحقائق وتعميق الفهم والوعي.

دعاة «الميديا».. بين علوّ الذِّكْر وخموله

محمد فتحي النادي

إن وسائل التواصل الحديثة بحر متلاطم لا ساحل له، يرده كل وارد فيجد فيه بغيته، ويغرق فيه من لا يأخذ حذره واحتياطاته.

فمن طلبه للعلم وجد فيه ما يرفع عنه الجهل والغشاوة إن صادف أهله من أهل العلم المحققين الأثبات، أو وقع في الجهل والضلال إن طرق أبواب أهل الزيغ والانحراف.

ومن طلبه للهو قد يمضي سحابة يومه وليلته في اللهو ويضيع وقته دون أن يشعر.. إلخ.

وتلك الوسائل هي منابر يستخدمها كل أهل دعوة لتبليغ دعوتهم مهما كان حظها من الصواب أو الخطأ.

وكل دعوة تحتاج رجالاً ينشرونها، ويقفون عليها، ويبذلون في سبيلها كل غال ونفيس.

فإن كانت دعوة حق كانت نهاية طريقها مشرقة منيرة؛ حيث الرضوان من الله تعالى صاحب الدعوة، والأنبياء هم دعاتها، وسيد الدعاة هو النبي المصطفى ﷺ، والمستجيبون لها لهم النعيم المقيم؛ فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قال: «جَاءَتْ مَلاَئِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهْوَ نَائِمٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلاً فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلاً.. فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى

دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ. فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا.. فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ»(١).

وإن كانت الدعوة دعوة باطل، فصاحبها الأصيل هو الشيطان، ودعاتها من أبالسة الإنس وإن أظهروا الورع والزهد تلبيسًا على الخلْق، ونهاية طريقها غضب الرحمن والنيران، والمستجيبون لها ضُلاَّل غواة؛ قال حُذَيْفَة بْن الْيَمَانِ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»(٢).

وقد مكَّنت وسائل الاتصال الدعاة من أن يصلوا إلى الناس وهم في حجراتهم، دون أن يتكلَّفوا التحرك إلى أماكن الدعاة، إلى جانب أن طلاب العلم يمكنهم أن يستمعوا إليهم في أي وقت من ليلٍ أو نهار دون أن تفوتهم كلمة قيلت.

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجه البخاري.

وكانت وما زالت مهمة الداعي ووظيفته أن يقول كلمته، ويبذل جهده في تعليم الناس وتقويمهم، لكنه قد يُحارب من بعض الأنظمة أو الجهات أو الأشخاص فيعملون على إسكاته، فجاءت تلك الوسائل فحرَّرت الدعاة -إلى حدٍّ ما- من سطوة الأنظمة التي قد تحاربهم وتمنعهم من قول كلمتهم، أو التواصل المباشر مع الناس.

لكنها في الوقت نفسه أصبحت دليل إدانة لهم مسجلاً بالصوت والصورة إن قال ما لا يعجب الأنظمة أو بعض الجماعات أو بعض أصحاب النفوذ.. إلخ.

وإن حظ الدعاة من إقبال الناس عليهم أو إدبارهم عنهم مختلف؛ فهناك من يكثر أتباعه ومريدوه فيكونون فوق العد والحصر، ومنهم من يقلّ مريدوه حتى يمكن عدهم على أصابع اليد الواحدة.

وحال الدعاة هو حال سادتهم الأنبياء؛ فعن ابْن عَبَّاسٍ قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ..»[1].

وفي أحيان يكثر المستمعون لداعٍ ما، وفي أوقات أخرى يقلّون، وقد وصل الحال بالنبي ﷺ أن تركه الصحابة وهو يخطب، وقد سجل القرآن ذلك؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَخْطُبُ قَائِمًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَجَاءَتْ عِيرٌ مِنَ الشَّامِ فَانْفَتَلَ النَّاسُ إِلَيْهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلاَّ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً، فَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ الَّتِي فِي الْجُمُعَةِ: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ﴾ [الجُمُعَة:١١][2].

والشهرة وعلو الذِّكر رزق من الله تعالى؛ فقد تجد العالم الكبير ولا يقصده إلا القليل من طلبة العلم، وآخرين دونهم في العلم إلا أنهم ذائعو الصيت، لهم الكلمة

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجه مسلم.

المسموعة، والأقوال المشهورة.

وقد تجد الأقران الكبار لكن أحدهم أشهر من الآخرين.

وليس الالتفاف حول علم دون آخر؛ فلكل علمٍ مريدوه ومحبوه.

وهذا ليس أمرًا حديثًا مرتبطًا بوسائل الاتصال الحديثة، بل قديم جدًّا.

فقد تجد، مثلاً، أن تقي الدين محمود بن علي بن محمود الدقوقي محدِّث بغداد يحضر مجلسه نحو الألفين[١]، في حين أن علياً بن عاصم أبا الحسن الواسطي محدِّث واسط كان يحضر مجلسه ثلاثون ألفًا[٢]، «والبخاري كان يحضر مجلسه أكثر من عشرين ألفًا يأخذون عنه»[٣].

وهناك من انجذب له العوام والخواص رغم رأي العلماء السيئ فيه؛ فهذا أبو الفتوح الطوسي الواعظ جاءت عنه حكايات تدل على انحلاله «حصل له القبول التام، واصطاد الخواص والعوام، وكان يحضر مجلسه عالَم لا يُحصى»[٤].

وهناك من اختص به الأعيان والكبراء الذين يحضرون مجلسه مثل: صدر الدين الخجندي الأصبهاني[٥].

وهناك من وجد له المريدين رغم ضعفه في اللغة العربية؛ مثل أبي الفتح المطوعي الواعظ، الذي «كان حسن الوعظ بالفارسية قليل البضاعة في العربية يحضر مجلسه الأتراك العسكرية»[٦].

---

(١) توضيح المشتبه، (٤/ ٢٦).
(٢) العبر، (١/ ٢٦٣).
(٣) تهذيب الأسماء، (١/ ٧٣).
(٤) لسان الميزان، (١/ ٢٩٣).
(٥) الوافي بالوفيات، (٣/ ٢٣٣).
(٦) السابق، (٥/ ١٦٣).

وهناك من يكون بروزه سببًا في التفاف الناس حوله، وانفضاضهم عن قرنه؛ فهذا الأمير العبَّادي الواعظ «كان يحضر مجلسه من الرجال والنساء ثلاثون ألفًا، ولما قدم بغداد كان البرهان الغرنوي يعظ بها فانكسر سوقه»[١].

وهناك العلماء الأثبات الذين لم يعرفوا قط فقرًا في الأتباع والمريدين؛ فأبو الفرج بن الجوزي «أقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف، وربما حضر عنده مائة ألف»[٢]، و«أبو حامد الإسفراييني كان يحضر درسه سبعمائة متفقه»[٣].

وهناك من العلماء من كان يحضر مجلسه طلاب من أقاصي الأرض؛ فابن الأعرابي كان يحضر مجلسه زهاء مائة إنسان، ورُئي في مجلسه رجلان أحدهما من إسبيجاب ببلاد ما وراء النهر، والآخر من الأندلس[٤].

وفي المقابل، نجد العالم الكبير ولا يحضر مجلسه إلا القليل؛ قال الأوزاعي: «مات عطاء بن أبي رباح يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عند الناس، وما كان يشهد مجلسه إلا سبعة أو ثمانية»[٥].

وما سقناه يشبه حال الدعاة اليوم مع وسائل التواصل الاجتماعي؛ إذ إن منهم من يكثر معجبوه وبضاعته في العلم مزجاة، ومنهم من يتكلم في كل فن وعلم وحدث كأنه أعظم العلماء والمحللين السياسيين والاقتصاديين والمطلع على خبايا الأمور التي لا يطلع عليها غيره فيضلل متابعيه أكثر مما ينوِّرهم.

وفي المقابل، تجد بعضًا من العلماء المحققين ما لا يهتم بقناته إلا القليل.

---

(١) السابق، (٨/ ٢٣٨) باختصار.
(٢) ذيل طبقات الحنابلة، (٢/ ٤٨١).
(٣) تاريخ بغداد، (٤/ ٣٦٨).
(٤) انظر: وفيات الأعيان، (٤/ ٣٠٧).
(٥) تهذيب الكمال، (٢٠/ ٨٠).

لكن يجب ألا يكون ذلك مدعاة لليأس أو الإحباط؛ فإخلاص النية، وحسن التحضير والإلقاء، مع توضيح الفكرة وتبسيطها قدر المستطاع، مع حسن الإخراج الفني قد يكون كل ذلك وغيره سببًا في إقبال الناس عليه.

وإن لم يحدث فما عليه إلا البلاغ، وإنما الأجر على قدر العمل، لا على كثرة الأتباع والمريدين.

دعاة على أبواب جهنم!

د. مسعود صبري

الضلال في الدين لا يقتصر على فئة بعينها، فلا يكون الضلال في أهل الفن أو السياسة أو رجال الأعمال وحدهم، بل قد تكون كذلك في فئة ممن ينتسبون إلى الدعوة والعلم، ولم يكن المسلم العادي يتصور يوماً أن يرى من يعتلي منبر رسول الله ﷺ ويدلّس على الناس دينهم، جاعلاً الحق باطلاً والباطل حقاً، أو أن ترى من يلبس زي العلماء وهو يكذب على الله ورسوله كذباً صراحاً؛ لأجل دنيا أو مطمح هنا أو هناك!

ولقد رأينا أفواه مثل هؤلاء تقذف بالقذى دون حياء من الله تعالى أو حياء من الناس، حتى خرج علينا من يقول: إن الراقصة تأخذ رزقها بعرق جبينها! فهي تأخذ الأموال مقابل عملها، أو من يرى بعض البشر اليوم في مقام الأنبياء! أو من يرى أن أصحاب الأديان المحرفة من أهل الإيمان وأنهم من أهل الجنة! أو من دعا إلى قتل الأبرياء ورآه قربة إلى الله! أو من يرى الجهاد في سبيل الله ضد الكيان الصهيوني لعباً وليس من الجهاد في شيء! بل يكفّر المجاهدين وينتصر للكافرين، في فحش من القول وزوراً لم يقله كثير من غير المسلمين الذين انتصروا للعدل بفطرتهم.. فمثل هؤلاء الدعاة ليسوا من أنجاس الدعاة فحسب، بل هم من أنجاس الناس، فقد تنكست فطرتهم، وضلوا عن سواء السبيل.

ولا عجب أن يخرج في كل عصر من العصور مثل هؤلاء، فتلك لعمري من الفتن التي حذرنا منها رسول الله ﷺ، وأسماهم «دعاة على أبواب جهنم»، كما ورد

في صحيح مسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة بن اليمان، يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: «نعم»، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سُنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر»، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»، فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: «نعم، قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

فقد أبان النبي ﷺ عن تلك الفتنة التي نعيشها، من الأئمة الذين يضلون الناس، والأئمة هنا هو كل إمام له سلطة وأتباع، سواء أكان سلطة في الحكم والسياسة، أو سلطة في الدين والعلم، أو سلطة في الإعلام والصحافة، أو أي سلطة تجعل من الشخص أو الهيئة متبوعة من الجماعات البشرية، وها نحن ذا نرى كثيراً من الإعلاميين يبثون سمومهم للناس، مدلسين عليهم في الحق، وهؤلاء دعاة على أبواب جهنم، فكل من دعا إلى ضلالة يعرف في نفسه أنها ضلالة، يقصد بذلك عرضاً من الجاه أو المال أو الدنيا؛ فهو إمام من أئمة الضلالة وداعية من الدعاة على أبواب جهنم.

وقد وصفهم النبي ﷺ، بعدة أوصاف، أولها: «قوم من جلدتنا»؛ فهم ينتسبون إلى هذه الأمة، ويحسبون أنفسهم منها، فهم من قوميتنا وأوطاننا، فهم ليسوا أجانب، والوصف الثاني: «ويتكلمون بألسنتنا»؛ فهم يتكلمون اللغة العربية في بلاد العرب، أو غيرها من اللغات التي تستعمل في بلاد المسلمين، وهذا يساعدهم على التدليس

على الناس، فإن الأمة مفطورة على الحذر من غير المسلمين، أو ممن لا يتكلم بلغتهم، أما من كان منهم ويتكلم بلغتهم، فقد يقع من لا إدراك له في شراك تدليسهم وكذبهم وخيانتهم لله ورسوله وللأمة، ولهذا جعل النبي ﷺ المخرج التمسك بجماعة المسلمين وخليفتهم.

ومن العجيب أن حذيفة بن اليمان كان فقيه استشراف المستقبل، فقد تعدى تفكيره وعقله الواقع الذي يعيشه إلى ما هو أبعد، فيسأل النبي ﷺ سؤالاً يعد غريباً في زمنه، فيقول له: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ فيجيبه النبي ﷺ بقوله: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

وهذا يعني حصول الهرج والمرج في حياة المسلمين، وأن يختلط الحابل بالنابل والحق بالباطل في جماعات كثيرة من المسلمين، فهنا يجب اتباع الحق وعزلة تلك الفرق كلها؛ تمسكاً بالحق الذي يوقن به، حتى لو نطق بالباطل شيوخ الإسلام، فإن الإسلام يعرف بذاته.

وهنا تظهر عبقرية الإسلام الذي يحرر العقل من التبعية المقيتة، فلا قدسية لبشر، فإن الإسلام وإن كان يدعو إلى اتباع العلماء، كما قال تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (النحل: ٤٣)، لكنه لم يجعل كل كلام العلماء حجة، بل يتبع الناس العلماء إذا نطقوا بالحق وأبانوا الصدق، أما إذا حادوا عن الحق إلى الضلالة، فلا سمع لهم ولا طاعة سواء كان إماماً في الدين أو في غيره من شؤون الحياة، وقد قال النبي ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، وقال ابن مسعود رضي الله عنه، كما في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٨٨): «ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً إن آمن آمن وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر».

وفيه أيضاً (٢/ ٩٧٨): عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني، عن أبيه، عن جده، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأخاف على أمتي من بعدي أعمالاً ثلاثة»، قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: «أخاف عليهم من زلة العالم، ومن حكم جائر، ومن هوى متبع».

وعن زياد بن حدير، قال: قال عمر رضي الله عنه: «ثلاث يهدمن الدين: زلة العالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون»؛ وفي الحديث: «يذهب العلماء ثم يتخذ الناس رؤوساً جهالاً يسألون فيفتون بغير علم فيضلون ويضلون»، فلا حجة لأحد على دين الله، فمن اتبع دين الله ورضوانه اتبعناه، ومن زاغ لدنيا أو جاه، فلا سمع له ولا طاعة، وإن الله تعالى جعل في كل امرئ فطرة نقية يستطيع بها التمييز بين الحق والباطل، وليسأل نفسه في أي شيء: هل هذا يرضي الله أم يسخط الله؟ هل هذا في ميزان الحسنات أم ميزان السيئات؟

إن ظاهرة «دعاة على أبواب جهنم» ليست جديدة في تاريخ الإسلام، بل ظاهرة تتجدد، وفق سُنة الله تعالى في التدافع بين أهل الحق والباطل، وليتخير كل امرئ لنفسه ما يحب أن يلقى الله تعالى به، ولا يغتر بحلم الله، فإنه سبحانه إن كان وصف ذاته العلية بقوله: ﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩﴾ [الحِجْر:٤٩]، فقد أعقبها بقوله جل في علاه: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾ [الحِجْر:٥٠].

وإن من أعظم قواعد الفقه في التعامل مع الناس قولهم: «الحكم على الأفعال لا على الذوات»، فقد تدفع الخصومة بين العلماء الكذب على الله انتصاراً للنفس، ومن هنا يعلمنا الإسلام أن نحكم على الفعل لا على الشخص، فإن النبي ﷺ قد وصف الشيطان الذي جاء يسرق من بيت مال المسلمين بقوله، كما في صحيح البخاري: «صدقك وهو كذوب».

فلا تكون الخصومة دافعاً للتدليس في دين الله تعالى، وليجعل العلماء نصب أعينهم رسالتهم والعهد الذي أخذه الله عليهم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عِمْرَان:١٨٧].

دعاة «مودرن»!

منى عبدالفتاح

كلمة «مودرن» (modern) إنجليزية الأصل؛ ومعناها عصريّ، وهي تطلق على كل ما هو حديث وجديد، لكن التعبير جرى توظيفه بكثافة في توصيف ظواهر مجتمعية وسياسية، أحياناً بشكل إيجابي، وكثيراً بشكل سلبي.

وقد ارتبطت الكلمة، كثيراً، أواخر تسعينيات القرن الماضي، ومطلع الألفية الثالثة، بالدعاة تحديداً، أو «الشيوخ» كما يوصفون في عديد البيئات العربية، وقد كانوا الأكثر حظاً من ذلك الوصف، بمضامينه السلبية، لا الإيجابية.

ومما هو جدير بالأخذ في الاعتبار أنه جرى كذلك توظيف الكلمة بشكل سلبي، من قبل وسائل إعلام مسمومة، بهدف التهكم والسخرية والنيل من رجال الدين ورموز الدعوة إلى الله، من خلال التعريض بما عُرف قبل نحو عقدين بظاهرة «الدعاة الجدد»، «المودرن»، أو «الكاجوال».

ولعل الانتشار السريع لهؤلاء الدعاة، بصرف النظر عن أسمائهم وجنسياتهم، وتنامي تأثيراتهم في أوساط الشباب، والأسر الثرية، كان وراء اشتداد المعركة عليهم، وتكالب سهام النقد نحوهم، مروراً إلى ابتذال المعنى، والربط بينهم وبين حب الشهرة، وتحقيق الثراء السريع، والزواج من فنانات، وارتداء ماركات عالمية في الملبس وغيره.

كان الهجوم الممنهج على الدعاة، الذي تبنته وسائل إعلام وصحف عربية من الأساس، يجري بدوافع بغيضة من الكارهين والحاقدين والعلمانيين، الذين

صدمتهم تقلبات المشهد، حينما رأوا الدعاة خارج المنابر التقليدية (المساجد)، بل غزوهم الأندية الشهيرة والمجتمعات الراقية، وقنوات التلفزة ومواقع الإنترنت.

لكن من الرصانة والإنصاف أن نزيل التشوهات التي لحقت بالكلمة، وأن نعيد للتعبير جوهره ومضمونه، وأن نستعيد أدواته، بما يخدم رسالتنا مجتمعياً ودعوياً وثقافياً، دون الخضوع لابتزاز فكري ممن شوّهوا «الدعاة المودرن»، تحقيقاً لمآرب أخرى.

نعم، نحن في حاجة لدعاة «مودرن» يواكبون عصر السماوات المفتوحة، والفضاء الإلكتروني، والذكاء الاصطناعي، وتطبيقات التواصل، والواقع المعزز و«الميتافيرس» وغيره من أدوات العالم الافتراضي.

وقبل أن يستنبط القارئ استنتاجات خاطئة، نؤكد هنا أن هذه ليست دعوة للتخلي عن وقار الداعية، أو التساهل في ضرورة تحصيله العلم الشرعي اللازم، والمؤهلات المطلوبة للإفتاء، كما أنها ليست دعوة للتساهل في الدين تحت شعار «تجديد الخطاب الديني» مثلاً، أو التفريط في حدود الله، وسُنة نبيه محمد ﷺ.

إنها دعوة للتجديد والابتكار في وسائل تبليغ كلمة الله، وإعادة نشر رسالة الإسلام، وبث السُّنة النبوية في كل مكان، وبعث التاريخ الإسلامي من جديد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغزو كل فضاء، حقيقي كان أو افتراضي، بما هو طيب ونافع ونبيل.

كذلك هي دعوة لانتشار وتأثير دعوي أوسع، عبر الوصول إلى جميع الجنسيات، والألسنة، ومخاطبة الأفئدة والعقول حول العالم في القارات الست، على وجه الأرض، لنصل إلى أكثر من ٨ مليارات إنسان، هم تعداد سكان البشر.

ألسنا في حاجة لدعاة يتقنون اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والصينية واليابانية وغيرها بطلاقة؟ ألا يستحق الإسلام دعاة متمرسين على استخدام كافة وسائل التواصل وتطبيقات المحادثة؟ لماذا لا يغزو الدعاة برامج «الريلز» و«التيك توك» ومقاطع «اليوتيوب»؟

لماذا لا يكون الدعاة هم قدوة الشباب والمراهقين؟ ما المانع من تصدر الدعاة واجهات الشاشات، وقوائم النجوم والمشاهير؟ متى يتصدر الدعاة قائمة أكثر ١٠٠ شخصية تأثيراً بالعالم؟

كيف نبتكر منابر جديدة للدعاة؟ كم من مشاهدات يتحصل عليها دعاة «اليوتيوب»، أين «اليوتيوبر الداعية»، أو «الداعية اليوتيوبر»؟

هذه التساؤلات فرضها الواقع؛ لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال غض الطرف عن التطور التكنولوجي الفائق والمتسارع عالمياً، وإبقاء الداعية أسيراً لوسائل تقليدية، أو الإبقاء على الصورة النمطية لـ«الشيخ» خلف جدران المساجد، التي قد يهجرها قطاعات ليست بالهينة من الشباب والأجيال الناشئة، وسط صراع محتدم من «لوبيات» الترفيه والكرة والجنس وغيره؛ لاقتناص الكعكة الثمينة من الزوار والمتابعين والمشاهدين.

دعونا نكسر الحواجز التي فرضها الآخرون على دعاتنا، في محاولة مسمومة لوقف الانتشار السريع لهم، وإجهاض التأثير المتنامي لهم بين جماهير الناس، بينما تُفتح الأبواب على مصراعيها لأشباه الرجال، وأنصاف الموهوبين، وعراة السينما؟

إن المعاصرة التقنية والمواكبة التكنولوجية لهي واجب الوقت، في الدعوة إلى الله، وإن توظيف وسائل الاتصال والتواصل الحديثة لهي ضرورة حياتية ومجتمعية

ودعوية، تحتم أن نوظفها كمنابر جديدة، ورسل للإسلام في هداية الآخرين إلى الصراط المستقيم.

وكوني امرأة، هناك ضوابط شرعية بشأن خروجها إلى المسجد، وأن صلاة المرأة في بيتها أفضل، يزيد من حماستي للدفاع عن «الدعاة المودرن»، بل تبني الدعوة لدعم وتعزيز وتوسيع دائرة الدعاة الذين ينشطون على «فيسبوك»، و«تويتر»، و«إنستجرام»، و«سناب شات»، و«تيك توك»، و«واتساب»، و«لينكد إن»، و«وي تشات»، و«جوجل بلس»، و«تمبلر»، و«فلكر»، و«ماي سبيس»، شريطة امتلاك الأدوات اللازمة لذلك، والمؤهلات الشرعية والفقهية والعلمية المطلوبة، والعمل وفق إستراتيجية رصينة ومتكاملة تدعمها الهيئات والمجامع والمرجعيات الإسلامية الموثوقة؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

مساجد «أون لاين»!

أحمد عبدالواحد

تتزايد حاجة المرء المسلم للتزود بجرعات إيمانية وروحانية، بعد رمضان، لا سيما مع تسارع وتيرة الحياة المادية، وتزايد الضغوط الحياتية والمعيشية، فضلاً عن كثرة الملهيات والمشتتات.

ربما نحن بحاجة إلى صياغة أدوار جديدة للمسجد، وطرق مستحدثة، تواكب روح العصر، وتنتقل بأجواء بيوت الله إلى كل مسلم، في أي زمان ومكان، دون التخلي بالطبع عن إعمار بيوت الله، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التَّوْبَة:١٨].

وهناك بالفعل تجارب حية وواقعية وناجحة، في إيجاد قنوات للتواصل بين المسجد ورواده؛ ما يجعل المسلم على صلة ببيت الله «أون لاين»، وتفاعل متواصل عبر وسائل التواصل، وتطبيقات التكنولوجيا.

ولا شك أن دعاة القرن الـ٢١، أبدع منهم من أبدع في توظيف التطور التكنولوجي الهائل في خدمة الدعوة إلى الإسلام، فصرنا نرى مواقع إلكترونية للمساجد الكبرى، وبثاً مباشراً لدروس المسجد، وحلقات تحفيظ قرآنية عبر «زووم»، وجلسات استشارات دعوية وفقهية داخل غرف الدردشة.

ومن الأئمة والدعاة من يقدم خدمات متطورة انطلاقاً من بيت الله، من توفير

المكتبة الإلكترونية، والمصحف الناطق، وبث خطب الجمعة، وإتاحة أرشيف الدروس والمحاضرات عبر الموقع الإلكتروني للمسجد، وبث مواد دعوية بأكثر من لغة لغير الناطقين بالعربية، مع إتاحة خدمات الفتاوى وغيره، الأمر الذي يرفع من كفاءة وفاعلية دور المسجد في الدعوة والتأثير.

بل إن البعض ذهب إلى إبداع طرق أكثر تفاعلاً وتواصلاً خارج المسجد، من خلال تطبيق جوال الجامع، الذي يزود المشترك بكل فعاليات المسجد، ويذكره بمواقيت الصلاة، والمناسبات الدينية، والأدعية المأثورة، كما يزوده برسائل دعوية ورقائق إيمانية، تشحذ همته «أون لاين».

ولا يمكن إغفال الدور الذي مارسته منصة «مسجد أون لاين» خلال تفشي جائحة كورونا، قبل سنوات في جمع الدعاة حول العالم في بث مباشر للتواصل مع جموع المسلمين عبر الفضاء الإلكتروني، ومجموعات «واتساب»، وقنوات «يوتيوب»، بشكل جعل منها مسجداً بديلاً يتجاوز الحظر التضييق أياً كان صوره في أي بلد، ومنصة تفاعلية دعوية تحمل الإسلام إلى جميع العالمين.

ويمكن القول: إن الفكرة كانت نبتة إبداع خارج المألوف، ساعدت لاحقاً على إنشاء ١٠٠ ألف مسجد إلكتروني على مستوى العالم، وفق مؤسسي المنصة، الذين يؤكدون عدم تعارض الفكرة مع الشرع الإسلامي، كون المنصة لا تدعو لإقامة أي صلاة عن بُعد، بل تحث المتلقي على الارتباط ببيت الله، والتواصل معه، وحضور فعالياته، والنهل من دروسه، والاستفادة من شيوخه وأئمته.

ربما مثلاً، نقل أجواء الاعتكاف في بث مباشر عبر العالم الافتراضي، يحفز آخرين على الانضمام للمعتكفين، وقد يكون بث تلاوة الأذكار والأدعية المأثورة

من السُّنة النبوية فرصة أمام الآخرين للاقتداء بذلك، وقد تكون المحاضرات الفقهية منهلاً لتعليم كل ذي حاجة، وقد تكون الخواطر والرقائق طريقاً لهداية آخرين.

في هذا الصدد، لا يمكن حصر الآثار الإيجابية والنافعة لقناة القرآن الكريم التي تبث من الحرم المكي الشريف بمكة المكرمة، وتنقل أجواء العمرة والحج، وتزيد من لهفة القلوب إلى الطواف ببيت الله، كذلك قناة السُّنة النبوية التي تبث من الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة، وتنقل عطر الحبيب إلى المشاهدين في جميع أرجاء المعمورة.

ومن المؤكد أن نقل أجواء الصلاة في المسجد الأقصى، يغرس لدى أبنائنا وأحفادنا الشوق إلى مسرى رسول الله ﷺ، ويحيي جذوة الجهاد في النفوس لتحرير «الأقصى» من أيدي الصهاينة الغاصبين.

إن الحاجة باتت ماسة في غزو الفضاء الإلكتروني، إن صح التعبير، وتحويل المواقع والمنتديات والتطبيقات الحديثة، وكل ما هو حديث ومتاح شرعاً وقانوناً، إلى سفير للإسلام، ومنبر دعوي، يبث النافع والطيب، ويغرس الخير والفضيلة.

لنُعِدْ إلى المسجد دوره وحيويته وفعاليته، ولننتقل بأجوائه وإيمانياته إلى كل هاتف وتطبيق، لنربط بين العلماء والفقهاء في مشارق الأرض ومغاربها، وبين المسلمين في كل مكان.

ليكن جهادنا الإلكتروني غاية وساحة لنشر وتعميم تجربة «المسجد أون لاين»، وأرشفة إنتاج دعاتنا وأئمتنا، وربط الناس ببيوت الله، دون تخل بالتأكيد عن المسجد الحقيقي، بل إن الأمر أشبه بقنطرة لوصل من انقطع، وتعزيز صلة من وصل، وإعادة إحياء دور المساجد كمنارة إشعاع إيماني وروحي، ومركز علمي وفقهي، ومحضن

تربوي وثقافي، ومنهل خيري واقتصادي، وملتقى اجتماعي وسياسي.

إن من واجبنا أن نستحضر للواقع معنى «الجامع» بشموليته، لا لاستقبال المصلين فقط؛ لأداء الفرائض الخمس، بل للنهوض إيمانياً وعقائدياً وفكرياً ومجتمعياً، وأن نحقق في قلوبنا ومجتمعاتنا وبلداننا قول النبي ﷺ: «ورجل قلبه معلق بالمساجد».

الداعية إلى الله.. فضائله ومقتضيات تكوينه

د. رمضان فوزي

تكمن أهمية الإنسان أي إنسان وقيمته وفضله في أهمية العمل الذي يقوم به وقيمته وفضله، وليس أعظم ولا أشرف ولا أهم من الدعوة إلى الله تعالى، ومن هنا يستمد الداعية إلى الله تعالى منزلته الرفيعة من جنس ما يقوم به وهو الدعوة إلى رب العالمين.

ويمكن تلخيص فضائل الداعي إلى الله فيما يلي:

١- **من حيث موضوعه الذي يدعو إليه:** فهو داعية إلى الله، يدعو إلى رضائه وجنته، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٣]. وقال أيضاً على لسان نبيه موسى عليه السلام: ﴿* وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾ [غَافِر:٤١-٤٢].

٢- من حيث وظيفته: فإن وظيفة الداعية أشرف الوظائف على الإطلاق، لأنها عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أشرف البشر، وإن عظم الوظيفة تدل على عظم صاحبها. قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النِّسَاء:١٦٥].

٣- **من حيث أجْره وثوابه:** فقد وعد الله عز وجل الدعاة إليه بالأجر الكبير، والفضل العظيم، فقد جاء في الحديث الشريف: من دعا إلى هُدىً كان له من الأجر مِثْلُ أجور من تبعه، لا يَنْقُصُ ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه مِنَ الإثم مثلُ آثام من تبعه، لا يَنقُص ذلك من آثامهم شيئا (أخرجه مسلم في صحيحه، حديث

رقم ٦٢٧٤). وجاء في الحديث الآخر: فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكونَ لك حُمْر النَّعَم (متفق عليه).

إلى غير ذلك من نصوص شرعية تبين عظيم ثواب الداعية على عمله.

الإيمان أولُ سِلاحٍ يجب أن يَتَسّلح به المؤمن الداعية في مواجهة صراع الحياة وفي مُجابهة مغريات الدنيا

صفات الداعي إلى الله وآدابه:

هناك بعض الصفات الأساسية التي ينبغي على الداعية التحلي بها؛ حتى يتمكن من الاستمرار في طريق الدعوة، وحتى تؤتي دعوته ثمارها المرجوة منها، ومن هذه الصفات:

١ - **الإيمان**: المعلوم يقينًا أنّ الإيمان بالله الواحد الأحد حين يتغلغل في النفوس، ويُخالط بشاشة القلوب، هو أولُ سِلاحٍ يَتَسّلح به المؤمن الداعية في مواجهة صراع الحياة؛ وفي مُجابهة مغريات الدنيا، سواء أكان الداعية متقهقرًا أو متقدمًا، وسواء أكان مهاجمًا أو مدافعًا، وسواء أكان منتصرًا أو ممتحنًا؛ فبدون الإيمان يبطل كل سلاح، ويبطل كل إعداد وتبطل كل ذخيرة.

وأعني بالإيمان أنْ يعتقد الداعية من قرارة وجدانه: أن الآجال بيد الله، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنّ ما أخطأه لم يكن ليُصيبه، وأنّ الأُمّة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء، لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، وإن اجتمعت على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وعلى المؤمن أن يضع نصب عينيه قول الله الحق سبحانه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التَّوْبَة:٥١]، وعليه أن يردد صباح مساء قول الله -جل جلاله-: ﴿فَإِذَا

جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النَّحل:٦١].

فبهذا الاعتقاد وبهذا الشُّعور يتحرر المؤمن من الخوف والجبن والجزع، ويتحلى بالصبر والشجاعة والإقدام.

٢- الإخلاص: والإخلاص في حقيقته قوة إيمانية، وصراع نفسي يدفع صاحبه بعد جذب وشد إلى أن يتجرد من المصالح الشخصية، وأن يترفع من الغايات الذاتية، وأنْ يَقْصِدَ مِن عمله وجه الله -عز وجل- لا يَبْغِي من ورائه جزاء ولا شُكورًا، وإذا استمر المخلص على هذه الحالة من المجاهدة والتغلب على وساوس الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء؛ يصبح الإخلاص في أعماله كلها خلقًا وعادة، بل تصبح الأعمال التي تصدر عنه خالصة لله رب العالمين، دون أن يجد في ذلك أي تكلف أو مجاهدة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزُّمَر:٢]، ويقول سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غَافِر:٦٥]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البَيِّنَة:٥]، ويقول سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكَهْف:١١٠].

فعلى الدعاة أن يحرصوا على ما يلي:

أولًا: أن يقصدوا من دعوتهم وجه الله.

ثانيًا: أنْ تكون جميع تصرفاتهم وأعمالهم وسلوكهم الاجتماعي على وفق شريعة الله.

ثالثًا: أن يُحاسبوا أنفسهم بشكل دائم، وأن يتساءلوا ماذا يريدون من تبليغ الدعوة؟ وماذا يقصدون من دعوة الناس؟

رابعًا: أن ينظروا إلى أفعالهم؛ هل هي مطابقة لأقوالهم ولسان حالهم؟

خامسًا: أن يحذروا مكائد الشيطان، ووساوس النفس والهوى وفتنة العجب ومزالق الرياء.

٣- الصبر: والصبر قوة نفسية إيجابية فعالة؛ تَدْفَعُ المتحلي بها إلى مقاومة كل أسباب الخور والضعف، والاستكانة والاستسلام، وتَحْمِلُه على الصمود والثبات أمام الفتن والمُغريات، وأمامَ المحن والمكاره والأحداث، إلى أن يَأذنَ الله له بالنصر، أو أن يلقى الله عز وجل وهو عنه راضٍ.

لقد سَلَك المُشركون مع النبي ﷺ مسالك شتى في الأذى، وأساليبَ مُتنوعة في الاضطهاد؛ ليَصُدّوه عن دعوته؛ ويُثنوه عن أداء رسالته؛ فمَا استكَانَ وما خضع؛ حتى بعد أن أذن الله له بالهجرة، حاربوه بحملات مُتعددة، وحروبٍ طاحنة؛ ليستأصلوا دعوته وأتباعه، فما كان ذلك يرده عن تبليغ الدعوة ونشرها في الأرض، وظل النبي ﷺ صابرًا داعيًا مجاهدًا محتسبًا، ماضيًا في طريق إعزاز دين الله؛ حتى جاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

ألا فليتخذ الدُّعاة من مواقف صاحب الدعوة -ﷺ- قدوة وأسوة، إن أرادوا أن يبنوا لأمّتهم مجدًا، ولبلاد الإسلام عزًّا وللمسلمين وحدة وقوة ومكانة، فإن الله -تبارك وتعالى- أمر المؤمنين بالتأسي بالنبي الأمين؛ فقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأَحْزَاب:٢١].

٤- الصدق: لقد أمر الله تبارك وتعالى بالصِّدْقِ ومَدَح أهْلَه وبَيّنَ جَزاءهم؛ فقال عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التَّوْبَة:١١٩]، وبين سبحانه وتعالى أنه في يوم القيامة ينفع الصادقين صدقهم، وأنهم سيفوزون برضوان الله والجنة: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ

خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المَائِدَة:١١٩].

وحقيقة الصّدق حصولُ الشّيءِ وتَمَامُه، وكَمَالُ قُوّتِهِ واجْتِمَاعُ أجزائه، هكذا قال ابن قيم الجوزية في مدارجه، ويكون الصدق في القصد والقول والعمل، ومعناه في القصد: كمال العزم، وقُوّةُ الإرَادِةِ على السير إلى الله، وتَجَوّز العَوائق؛ ويكون ذلك بالمُبادرة إلى أداء ما افترضه الله عليه، وفي مقدمته الجهاد في سبيله، ومن الجَهاد في سبيل الله: الدَّعْوَةُ إلى الله -عز وجل.

أما صدق القول فمعناه نطق اللسان بالحق والصواب، فلا ينطق بالباطل أي باطل كان، ويَكُونُ الصِّدْقُ في الأعمال بأنْ تَكُونَ وِفْقَ المَناهج الشرعية، والمُتابعة لرسول الله -ﷺ- وإذا ما تحقق للمُسلم الصدق في القول والقصد والعمل، أدّى به ذلك إلى درجة أخرى في الصديقية، وهي التي أمر الله عباده المؤمنين بطلبها؛ موجهًا جل جلاله خطابه إلى رسوله الكريم ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإِسْرَاء:٨٠].

٥- **الرحمة**: وهي من الصفات الضرورية للداعية؛ وبها يُقبل الناس عليه، وبغلظته وفظاظته ينصرفون عنه، ولذلك كان رسل الله أرحم خلق الله بخلق الله، ولقد قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التَّوْبَة:١٢٨]، وامتن عليه بهذه الرحمة التي فطره عليها فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عِمْرَان:١٥٩].

فالداعية لا بُدّ أنْ يَكونَ ذا قلبٍ يَنْبِضُ بِالرّحمة والشفقة على الناس، وإرادة الخير لهم والنصح لهم، ومن شفقته عليهم دعوتهم إلى الإسلام، لأن في هذه الدعوة نجاتهم من النار، وفوزهم بالجنة.

إنّ الداعيةَ يُحِبّ للناس ما يحب لنفسه، وأعظم ما يحب لنفسه الإيمان والهدى؛ فهو يحبُ ذلك للناس أيضًا. إن الوالد من شفقته على أولاده يحرص على إبعادهم عن الهلكة، ويُتْعب نفسه في سبيل ذلك، وأي هَلكة أعظم من الضلال والتمرد على الله، والدّاعي بدعوته إنما يسعى لتخليص المُتمردين العُصاة من الهلاك المحقق والخسران المبين.

٦- **التواضع**: وهو معرفته لأقدار الناس وخفض جناحه لهم، والانصياع للحق، وهو من ثمار المعرفة بالله القادر، وبالإنسان المخلوق من ضعف.

على الداعية فهم العقيدة الإسلامية فهماً صحيحاً متقناً بالأدلة من الكتاب والسنة وإجماع علماء أهل السُّنة والجماعة

فالداعية يحتاج إلى التواضع لما يلي:

- الداعية طبيب، والمريض لا يقبل دواء طبيب متكبر.
- التعالي ينفر الناس ويجعلهم يصمون آذانهم عن سماع المتعالي.
- إذا تسبب الداعية بتعاليه في انصراف الناس حمل وزرهم ووزر معصيتهم.
- معرفة أقدار الناس وإعطاء كل ذي احترام حقه منه، وله في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة.

كيفية إعداد الداعي:

حتى يتم إعداد الداعي إعداداً جيداً يمكنه من أداء رسالته المنوطة به على أكمل وجه، عليه أن يتسلح ببعض الأسلحة، مثل:

- **السلاح الأول**: الفهم الدقيق المبني على العلم قبل العمل، والقائم على تدبر معاني وأحكام القرآن الكريم، وفهم السنة النبوية الشريفة، ويرتكز هذا الفهم على

عدة أمور، من أهمها:

الأمر الأول: فهم الداعية العقيدة الإسلامية فهماً صحيحاً متقناً بالأدلة من الكتاب، والسنة، وإجماع علماء أهل السنة والجماعة.

الأمر الثاني: فهم الداعية غايته في الحياة ومركزه بين البشر.

الأمر الثالث: تعلقه بالآخرة، وتجافيه عن دار الغرور.

- **السلاح الثاني**: الإيمان العميق المثمر: لمحبة الله، وخوفه، ورجائه، واتباع رسوله - ﷺ - في كل أموره.

- **السلاح الثالث**: اتصال الداعية بالله - تعالى - في جميع أموره، وتعلقه به، وتوكله عليه، واستغاثته به، وإخلاصه له، والصدق معه في الأقوال والأفعال.

- **السلاح الرابع**: العناية بصحبة العلماء العاملين، والدعاة الربانيين، والمربيّن الصادقين، ليقبسوا من هديهم، ويستفيدوا من خبراتهم وأساليبهم..

- **السلاح الخامس**: تعميق معاني الأخوة الإيمانية بين الدعاة، ليتبادلوا حقوقها، ويشعروا بفائدتها.

- **السلاح السادس**: العناية بمدارسة التطبيقات الدعوية، ومناقشة الأخطاء لتلافيها والإفادة منها.

١- الخطابة، مناهج جامعة المدينة العالمية.

٢- المدخل إلى علم الدعوة، د. أبو الفتح البيانوني.

٣- الموجز في الدعوة إلى الله، د محمد محمود متولي.

٤- مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسُّنة- مفهوم، ونظر، وتطبيق، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني.

بين الخطيب المطبوع والمصنوع

د. محمد البربري

إن مهمة الدعوة إلى الله تعالى من أشرف المهام، وأفضل القربات، فهي لبّ رسالات الأنبياء والسابقين، والوسام الجليل الذي يصطفي له رب العالمين من يشاء من خلقه، قال جل ثناؤه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٣].

وإن كان البصراء قد عرفوا الخطابة بأنها «فن مخاطبة الجمهور وإقناعه واستمالته»[1]، فإن هذه الركائز الثلاث تحتاج إلى دربة ودراية لتكون الخطبة ناجحة وهادفة.

وبقليل من التروي، فإن من ينظر إلى الواقع الخطابي المعاصر يجد أمارات التجاعيد وعلامات الشيخوخة عليه ظاهرة، بل ونزق المراهقة وقلة الخبرة، فهو في الأعم الأغلب -إلا من رحم الله- لا يقيم معوجاً ولا يشبع نهماً، فأحياناً يكون الخطاب بارداً برود الشتاء، تظهر عليه أعراض التكلف في الصنعة الخطابية، وأحياناً يكون حارّاً حرارة الصيف الملتهب، ومن الحكمة التوسط بينهما ومراعاة الحال.

رسالة المسجد:

المسجد قلب المجتمع النابض، ورسالته رسالة الإسلام بشموله وكماله، وأهم أدواره التوجيه والإرشاد وتصحيح العقائد والأفكار وتزويد الأنفس بالغذاء الروحي والإيماني حتى يتجدد اللقاء في هذا المؤتمر الأسبوعي، فكم من انحرافات شبابية

(١) فن الخطابة، د. أحمد الحوفي، ص٥.

عولجت! وكم من ثلمة في الجدار الإسلامي سُدت ووضع لها الدواء الناجع والعلاج الناجح! وكم من أمور حيَّرت أفهام الناس وتصارعت حولها العقول وكان في خطبة الجمعة الإجابات الشافية لهذه الحيرة، وفصل القول بين العقول المتصارعة على يد خطيب يقظ يربي ويوجه ويعلم مطبوع على حب الخطابة وحسن الأداء وروعة البيان، وشتان بين الخطيب المطبوع والخطيب المصنوع، وهنا سؤال مفاده: هل تقوم خطبة الجمعة بوظيفتها كاملة؟ وهل تواكب التطور الإعلامي الهائل في هذه الأيام؟

الحقيقة أن الإجابة عن هذا السؤال تضعنا أمام حقيقة ليست سهلة على النفس المسلمة، بل مؤلمة جداً، فرغم كثرة منابر المساجد وخطبائها، فإنك تجد فرقاً هائلاً بين خطبة الجمعة اليوم وما كانت عليه عند السلف، مع أن المنابر هي المنابر.

إنك في الأعم الأغلب ستجد خطبة ضاعت روحها الفتية، واختفت معانيها الغنية، وغابت آثارها القوية، ويهولك أن تراها أضحت كلمات ثقيلة ومعاني عليلة لا تبل لظامئ صدى، ولا تدفع عن أمة ردى، الناس في واد وهي في واد آخر، لا تحس بآلام الأمة، ولا تحاول إنقاذها من الغمة، فلا تعجب إن أصابها الهزال ولم يتأثر بحبها الرجال[1].

والأمر ليس على إطلاقه، ففي الحياة أئمة وخطباء جعلوها رسالة لا وظيفة يبتغون بها رضا الله وتعمير القلوب، لا ملء الجيوب، فكتب الله لهم في دنيا الناس القبول، وقدر لصادق كلماتهم البلاغ والوصول.

الأسباب والحلول:

المستوى العلمي والثقافي المتواضع، وعدم الإلمام بالثقافة العلمية والأدبية والتاريخية، وقصر النظر والمطالعة على فرع واحد أو رأي واحد؛ وهذا بدوره

(١) يوم الجمعة وخطبته في موكب الدعوة، د. يسري هاني، ص١١٥

يؤدي إلى التعصب وجمود الفكر، ومن البديهيات أن الداعية يجب أن يكون مدمن قراءة، يطالع ويبحث ويرقب كل جديد؛ لأن القراءة عنوان التقدم والازدهار والرقي الحضاري، وهي للدعاة زادهم الأصيل، ورحم الله الإمام البخاري، فقد سأله وراقة يوماً في خلوته: هل من دواء يشربه الرجل فينتفع به الحفظ؟ فقال: لا أعلم شيئاً أنفع بالحفظ من فهمة الرجل ومداومة النظر[1].

الهبوط الملحوظ في التحدث باللغة العربية، واستبدال العامية واللهجات المحلية بها، التي غالباً ما تُفقد الحديث رونقه، والخطبة بهاءها، وكذلك التقعر واستخدام الألفاظ المستعصية على الأفهام.

ومعلوم أن اللغة العربية هي وعاء الإسلام، ولسان التنزيل، وآصرة العقيدة، ورمز الأمة وعنوانها، فهي نبت القرآن الكريم ووليدته، والخطيب يجب أن يكون له منها النصيب الأوفى، وليس المقصد استعمال الفصحى التي تحتاج في فهمها إلى بحث في المعاني، بل اللغة العربية السهلة الواضحة التي يفهمها الخاصة والعامة.

عدم الإلمام بالواقع ومعايشة الأحداث، فمن المفارقات العجيبة أن تمر الأمة بمرحلة عصيبة، وينتقص من أطرافها وتنتهك حرماتها ومقدساتها، وترى من يتحدث في موضوعات ليست ذات بال، وعلى الخطيب أن يكون على دراية بالواقع ومواكبة الأحداث الاجتماعية والثقافية، فالداعية والطبيب كلاهما رفاق سلاح لا بد من معايشة مشكلات الناس واستدعاء الحلول الناجحة لها من القرآن الكريم والسُّنة المطهرة، من غير أن يعرض الداعية نفسه للمخاطر والمهالك، وألا يتعرض لأحد من المستمعين «ينتقد الفعل ولا ينتقض الفاعل»، فنحن نعالج المرض ولا نحارب المريض، مع ضرورة الموازنة بين عرض الدعوة وسلامة الداعية.

(١) فتح الباري (١/ ٤٨٨).

شعور الداعية بالإحباط تجاه الواقع الفردي والجمعي للأمة ورضوخه للواقع والرغبة في عدم التطور والفتور، وإغفال استخدام أساليب التشويق والإثارة وبراعة الاستهلال، فمنهم من يتحدث بصوت ضعيف لا يوقظ الوسنان ولا يحرك الغفلان، والخطيب يجب أن يكون بارعاً في إيصال الفكرة بأقصر عبارة، وأوجز إشارة، فقد كان النبي ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم[1].

فأولى بالخطيب أن يحرص على استخدام القصة الهادفة دينية كانت أو أدبية، وفيرة الصوت، ولهجة الحديث التي ربما تبلغ عن القلوب ما لا يبلغه الحديث نفسه، فلا يقرر حديثه على وجه إلا المتأثر به قولاً وفعلاً، وفرق بين الحديث إلى الأحياء والحديث لسكان القبور.

وبعد أخي الخطيب الحبيب..

لقد أقامك الله تعالى في مقام تشرئب إليه الأعناق، وترنو إليه الأحداق، فبكلماتك تتشكل العقول، وبعباراتك الجهل يزول، فجاهد نفسك، وجدد نيتك، فهي أول مراتب القبول، واجعل الإخلاص لله لك مركباً، ورضا الله غاية ومطلباً، وتعليم الناس وهدايتهم هدفاً ومقصداً، فقد اصطفاك الله لمكان الأنبياء، ومقام الأصفياء.

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧).

الإعلام الدعوي.. الوسائل والمتطلبات

د. محمد أحمد عزب

يحتل الإعلام في الإسلام مكانة رفيعة عالية؛ إذ عليه تقوم دعائم البلاغ المبين، وبه تقطع الدعوة الآفاق، وتجوب البلاد والقارات، وهو من الدعائم التي لا تقوم أي دعوة نبوية كانت أو إصلاحية بغير توظيف المتاح منه.

تنوعت في الإسلام وسائل الإعلام؛ فبعضها ثابت لا يختلف القيام به باختلاف الزمان أو المكان، وبعضها يخضع لمحددات الزمن، واهتمامات أفراده، ومما يلفت النظر ونحن نسعى لالتماس الوسائل الدعوية التي جاء بها الإسلام على سبيل التشريع، فإننا نجد الوحي والأذان يترادفان لغة مع الإعلام(١)، وألفاظ الأذان تنبيه مصحوب برسالة تتكرر خمس مرات علانية للملأ إعلاماً بدخول الصلاة، وخمساً ثانية لمن لبى النداء داخل المسجد، وقد استحبّه الفقهاء لكل مولود يستهل على الأرض صارخاً؛ اقتداء بالرسول ﷺ(٢)، فلا ينبغي أن تترك لحظة لقاء المولود الأول بالأرض دون إعلام حق.

وقد شرع الإسلام الجمعة وخطبتها لتتجدد فيها ركائز الدعوة إعلاماً على ملأ المصلين، وكان التكليف الشرعي بالموعظة التي هي إعلام فردي وجماعي سبيلاً للمهتدين، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النَّحل:١٢٥]، وهناك العديد من الوسائل الأخرى.

(١) تهذيب اللغة (٥/ ١٩٣)، ولسان العرب (٥/ ٢٠٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٠٥)، وحسنه الألباني.

وحين نتأمل كيف تعاطت دولة النبوة مع الوسائل الدعوية المتاحة للدعوة، نجد أنها وظَّفت في بواكير نشأتها الأولى كل الوسائل الإعلامية الدعوية الممكنة، فكان البلاغ الفردي، وغشيان الأسواق، ومقابلة الوافدين، وقرض الشعر، والخطابة، والإبلاغ بصوت يملأ الأفق أحياناً سبيلاً سلكته الدعوة وهي تضع الأساس الراسخ لآخر الرسالات السماوية.

نجد كمثال لهذا أن الرسول ﷺ حين كُلّف بالبلاغ العام والإعلان بالدعوة، والانتقال بها من مرحلة التخفّي إلى مرحلة الإعلام العام للجميع، انتخب أفضل الوسائل الدعوية آنذاك ليُعْلم من خلالها أكبر عدد من الناس في أقل مساحة زمنية ممكنة، ويصل بصوته لمسامعهم، فصعد على الصفا وصرخ في أهل مكة ممن اجتمع له بكلمة الله تعالى للعالمين[1]، فقد غدا بعد التكليف بالإنذار غشيان المجالس والبيوت جهداً لا يتسع له الزمن، ولا بد من تجاوزه إلى ما هو أعمّ.

وانظر إلى هذا النموذج الإعلامي الذي انبلج في أشد اللحظات وأحلك الظروف، والدماء تنزف من الشهداء والجرحى في يوم «أُحد»، والرسول قد نهى أصحابه عن الرد على وقاحات المنتصرين، الذين لا قضية لهم سوى الصدّ عن سبيل الله تعالى؛ فقد برز أبو سفيان في يوم «أُحد» يقول: اعلُ هبل، اعلُ هبل، فقال النبي ﷺ: «ألا تجيبونه؟»، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: «قولوا الله أعلى وأجلُّ»، قال: إنَّ لنا العزى ولا عزَّى لكم، فقال النبي ﷺ: «ألا تجيبونه»، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم»[2]، فخسارة القضية هي الخسارة الحقيقية، ومهما كان الثمن المدفوع والدماء النازفة، فلا بد من أن تظل القضية دائماً مرفوعة.

(١) متفق عليه.

(٢) البخاري، برقم (٢٨٧٤).

وربما استعملت الدعوة الشعر ونظم القوافي كوسيلة مناسبة في ذاك الوقت للنيل من الخصم وإرباكه، والفتّ في نفسه، وإدخال الضيق عليه، فقد قال النبي ﷺ في قوافي ابن رواحة رضي الله عنه: «لهي أسرع فيهم من نضح النبل»[1].

أزمة كل جديد:

حين تقدمت الوسائل الإعلامية، وارتادت الآفاق، وحطمت جغرافيا الحدود، وأضحت تصنع واقعاً جديداً، وتنوعت الوسائل التي من خلالها تصل الفكرة، أو يتم التأسيس لمفاهيم جديدة؛ انقسم المسلمون على عادتهم في أزمنة الهوان شيعاً، بعضهم قاطعها درءاً للمفاسد؛ ظناً منه أنه يغلق باب الشر، وبعضهم حرَّمها بالكلّية، وأصبح مما يذكره المادحون في مآثر فقيد: إنه لم يستعمل التلفاز أو المذياع طول حياته!

لقد انعكس ترهل حَمَلة الإسلام، وتحول الأمة من طور الريادة إلى حالة الغثاء على موقفهم من الإعلام، وحين وجدت أنه لا سبيل أمامها، وغدت الوسائل الحديثة تفرض نفسها، حدثت أزمة لا تقل عن أزمة المقاطعة، فتقدم للإعلام الإسلامي غير المتخصصين، وفي ظل هذا يقول د. عمر عبيد: بعض وسائل وأساليب الإعلام الإسلامي المعاصر تؤثر سلباً على مسار الدعوة الإسلامية ومواقف الناس منها، وذلك عندما يكون الطرح سيئاً، أو جاهلاً، أو غبياً، أو ساذجاً، فيُسيء إلى الإسلام وعظمته، ويزهّد الناس فيه، ويُخوفهم منه[2].

حين نتأمل الصفات التي يجب أن يتصف بها الرُّسل نجد أنها أربع صفات يجب أن تلازمهم ولا تنفكّ عنهم أبداً هي: الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة[3]،

(١) الترمذي، وصححه الألباني.

(٢) http://library.islamweb.net/newlibrary/display.

(٣) سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها- العقائد الإسلامية (٢/ ٨١٠).

فهذه الصفات الأربع هي ركيزة أي إعلام هادف، يحمل رسالة، أو يعيش أصحابه لقضية، يريدون من خلالها صناعة الخير وقيادة الجماهير، فإذا تخلفت واحدة من الأربعة ضاع الجهد أو طال الأمد، وربما صار تحقيق الأهداف محالاً.

إذا يممت وجهك يمنة أو يسرة فاحصاً في مادة وأهداف الإعلام الحالي للمسلمين، وقلّبت النظر عاد لك حسيراً، فالخطاب الإعلامي -الدعوي خاصة- غدا خطاباً مستهلَكاً لا يقدم جديداً، ولا يحاول نفض الغبار الذي تراكم وزكم الأنوف، فضلاً عن كونه يعيش كما عاش الذين كان همهم التحشية على شروح المتون.

إن الجماهير اليوم تتلقف الإعلام كالطفل الرضيع الذي تتشكل عظامه، وهذا ما وعته الدول التي أصبحت تجد في صناعة الإعلام كلفة أقل في انتهاب من شاءت من الأمم، وتصدير ما شاءت من الأفكار والثقافات، والتمكين لما تريد من القضايا، وتحويل الزيف من خلال الإعلام إلى يقين لا يقبل الشك.

في ظل هذا غدا محالاً إمكانية انتشال الأمة من القاع الذي تردت فيه من خلال موضوعات يتولى صياغتَها وإعدادَها متخصصون فقط في بعض علوم الشريعة، يقدمونها في قوالب جافة، وأقاصيص عفَّى عليها الزمن، وقياسات تجاوزتها علوم العصر، ثم غدا أكثرهم يتركون الجماهير نهباً لمن يفرغ فيهم بضاعة الزيف والضلال، فضلاً عن الخوض في الزائف من القضايا وتناول الجاف من الموضوعات، بحجة أنّه يسعنا أن نتكلم فيما تكلم فيه السلف، ونتناول من القضايا ما تناولوه، غاضين الطرف عن أن لكل زمن قضاياه التي تخصّه.

الدور المنشود:

إن رسالة الإعلام كي تؤدي مهمتها الدعوية، لا بد لها من التعاطي مع كل

مخرجات الإعلام العصرية سواء كانت هذه المخرجات أخباراً أو أفكاراً، أو أعمالًا فنية، وفق رؤية واضحة يضعها المتخصصون، ولن تتحول الأمة من حالة الاستهلاك الإعلامي إلى حالة العطاء والفاعلية إلا إذا حدَّد المتخصصون أهدافاً إنسانية سامية، يدورن خلفها، ثم تلقف القائمون على رسالتها الدعوية، المنظمون لسير قضاياها، المتخصصون في كل مجال لوضع رؤية للنجاح، فليس سمو الغاية وحده مبرراً أو كافياً في الوصول للأهداف، وهو الوهم الكامن في نفس من يأنف تحديث الخطاب، وتجديده وفق ضوابط الشريعة ليوافق حركة العصر الموّارة.

يتطلب تحديث الخطاب الإعلامي المعني بأمر الدعوة إسهاماً فاعلاً بجانب علماء الدين وعلماء النفس والاجتماع في اختيار الموضوعات والأفكار، واتخاذ الوسائل لإنضاجها، ووضع مقومات نجاحها، واختيار الأنسب لمن يقدمها؛ بدءاً من هندامه وانفعالاته، وصولاً إلى سكناته ووقفاته، هكذا تصنع الدول التي تريد اقتياد الجماهير أو تحويل مسارات تفكيرهم واهتماماتهم.

ثم لا بد من تفعيل ما نملك بحكم الشريعة من وسائل إعلامية مهمة سبقت الإشارة لبعضها، ولا يجوز لنا أن نتركها تتحول لرتابة تجعل المستمع لها يفرّ منها ويأنف السماع لأصحابها، ونتحول بها من حالة الجمود والضمور إلى الفاعلية والحركة، هذا إن أردنا أن نضع أساساً لمستقبل أجيال قادمة مهمتها ربما تكون ثقيلة.

علماء ودعاة

نريد دعاة عصريين أصحاب رسالة لا حناجر

أحمد جمال

مع توالي التحديات، وتعاظم الهجمات على الإسلام، تتزايد الحاجة إلى دعاة من نوع خاص، يمتلكون أدوات تبليغ الرسالة، وقدرة على فهم الواقع، وإلماماً بالعلوم الشرعية، وحنكة في استخدام لغة العقل، وتطوراً في مسايرة العصر.

دعاة من نوع خاص، باتت الأمة في حاجة ماسة إليهم، ليس دعاة حناجر، بل دعاة وفق معايير، يرى د. محمود الصاوي، وكيل كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر، أنها تتضمن قدرة على فهم الدين، وليس مجرد الحفظ فقط، وإنزال ما فهمه وحفظه على الواقع الذي نعيشه.

ويضيف: وفي الوقت نفسه، لا بد أن يشعر أنه صاحب رسالة وليس مجرد داعية «سد خانة»، حتى يكون قادراً على مواجهة ثلاثة تيارات تمثل خطراً على الإسلام والمسلمين.

أولها: تيار التشدد والتطرف الذي يصل لدرجة التكفير والدموية واستباحة الدماء الأعراض والأموال، وهؤلاء زين لهم الشيطان أعمالهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، **أما الثاني: تيار التفريط والتساهل** بلا حدود إرضاء للناس سواء من المسلمين أو حتى غير المسلمين؛ بحثاً عن شهرة أو مكاسب مادية، وأمثال هؤلاء باعوا دينهم بعرض قليل من الدنيا، ويقدم نفسه للرأي العام على أنه داعية، ويجد قبولاً لدى ضعاف الإيمان وأعداء الإسلام.

والتيار الثالث: التغريبي العلماني الذي سخر كل أسلحته لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، ويتخذ من أقوال وأفعال التيارين السابقين من المتشددين والمتساهلين وسائل للزعم بأن الإسلام متناقض وفيه «إسلامات» وليس إسلاماً واحداً.

لغة العلم والعقل:

ويوضح الصاوي أن الداعية العصري لا بد أن يكون ملماً بأفكار هذه التيارات الثلاثة، ولديه الردود العقلية المقنعة على مزاعم كل تيار، متمثلاً في ذلك أمر ربه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النَّحل:١٢٥].

ولا بد أن يبتعد قدر الإمكان عن لغة الحناجر والصراخ التي لم تعد مجدية في عصرنا الذي أصبحت فيه لغة العلم والعقل بكل مفرداتها ومعانيها هي المسيطرة الآن، وهذا يتطلب من الداعية أن يجيد التعامل مع كل مظاهر التقدم التكنولوجي بكل مفرداته، وهي كثيرة، ابتداء من كل وسائل التواصل الاجتماعي، والهواتف المحمولة، والفضائيات، وغيرها من وسائل الاتصال والتواصل التي تشهد تطوراً مستمراً يجعلها أكثر انتشاراً وتأثيراً.

الداعية العصري:

ويرى د. محمد المنسي، أستاذ الشريعة بجامعة القاهرة، أن الداعية لا بد أن يكون ابن عصره الواعي بكل ما يدور حوله ويتصرف معه بالحكمة والعقلانية، وهذا لن يكون إلا من خلال تسلحه علمياً بالإلمام بالعلوم الشرعية والعربية، والإلمام بأدوات عصره التي تساعده على مزيد من الاطلاع والتأليف والنشر بشكل أسرع وأكثر انتشاراً وتأثيراً في الرأي العام، ليس في مسجده أو حتى منطقته أو دولته فقط،

بل بإمكانه أن يجعل تأثير دعوته عالمياً.

ويضيف: هناك نماذج عديدة مشرفة لدعاة كسروا حواجز الحدود التي صنعها «الاستخراب الغربي» بين بلادنا العربية والإسلامية، واستطاعوا نشر دعوتهم وأصبحت لهم جماهيرية كبيرة على مستوى الأمة كلها، فيجب من الدعاة المعاصرين - خاصة الشباب- أن يتخذوا من هؤلاء قدوة، ويحاولوا التشبه بهم.

ويوضح أن سلاح التطور العلمي في مجال الاتصال والتواصل سلاح ذو حدين، فإذا كان أعداء الإسلام يستخدمونه ضدنا وضد ديننا، فيجب على الداعية تغيير صورته التقليدية بالقدرة على التعامل مع هذه الأسلحة الحديثة لتفنيد مزاعم هؤلاء المتربصين في الداخل والخارج، وليس بمعزل عن إجادة الداعية التعامل مع أسلحة عصره، أن يجيد اللغات الأجنبية ليكون قادراً على قراءة وفهم ما يحاك ضد دينه ووطنه وأمته، لأنه «من أجاد لغة قومٍ أمن مكرهم».

ويؤكد المنسي ضرورة أن يقوم الداعية بتحديث صورته ووسائله وخطابه لمواكبة العصر، وأن يكون قادراً على التواصل بنجاح مع الجماهير سواء من خلال الخطاب المباشر في المساجد والمؤتمرات والندوات، أو من خلال التعامل مع وسائل الاتصال والتواصل بلغة هادئة وهادفة، وأن يفتح للناس باب الأمل في رحمة الله والبعد عن لغة اليأس والتشاؤم، وليكن شعاره قول ربه: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُّمَر:٥٣].

داعية الأقليات:

ويؤكد د. خالد رزق تقي الدين، رئيس المجلس الأعلى للأئمة والشؤون

الإسلامية بالبرازيل، أن أعباء الداعية ثقيلة، ولن يستطيع تحمل رسالة الدعوة الصحيحة والمؤثرة إلا إذا كان واعياً بالتحديات المحيطة به، فالتحديات التي تواجه الداعية في الدول ذات الأغلبية الإسلامية غير التحديات التي تواجه الداعية في دول الأقليات الإسلامية التي يكون فيها الداعية عليه أعباء مضاعفة، من حيث لغة التخاطب والتعامل بذكاء مع الواقع والمخالفين له في العقيدة الذين يمثلون الأغلبية السكانية، ومنهم من يعادي الإسلام.

ويطالب تقي الدين الداعية بأن يكون على دراية بالعلوم الإسلامية، وفي الوقت نفسه دراساً لعلوم الاجتماع والنفس والتربية والإعلام، وأن يجيد التعامل مع الجماهير على اختلاف مستواهم التعليمي والاجتماعي والاقتصادي، وكذلك التعامل مع غير المسلمين على اختلاف عقائدهم، بل والملحدين منهم، وكذلك أن يجيد لغة الدولة التي يعمل فيها، لأن التواصل المباشر بين الداعية والجماهير أفضل ألف مرة من وجود مترجم.

وأنهى د. تقي الدين بدعوته الدعاة بوجه عام، وفي بلاد الأقليات بوجه خاص إلى التسلح بـ«شعرة معاوية»؛ بأن تتبدل مواقفه في التعامل مع الآخر بين اللين والشدة، مع التحلي بالذكاء والصبر وعدم الغضب واللين، وهي أمور يحتاجها الداعية المعاصر لتحسين صورته.

الإلمام بعلوم العصر.. من أدوات الداعية الناجح

في ظل احتياج الأمة لإعداد الداعية المعاصر الناجح (الشامل) الذي يستطيع العبور إلى قلوب المدعوين على اختلاف ثقافاتهم وطرق تربيتهم ومختلف بيئاتهم بسلاسة ويسر، نقدم في هذا المقال رؤية مصغرة عن جانب من الأدوات اللازمة لنجاح الداعية في مهمته الخطيرة لمساعدته في تحويل مسار أبناء الأمة إلى الوسطية السمحاء المعتدلة والمتوازنة، وذلك في محاولة لإعادة الأمة إلى مسارها الصحيح وثقافتها الأصيلة ومنبعها الصافي.

وحتى يقوم الداعية بتلك المهمة فيلزمه مجموعة من الأدوات والعوامل المساعدة، وتتطلب المهمة منه فهماً أعمق مما قد يتصور البعض، ويتطلب سعة اطلاع ومعارف تعينه على استيعاب المشكلات المتجددة من حوله، مع وجود العديد من الأفكار والمتغيرات المستمرة والتيارات العديدة، وكل منها يدعي أنه يملك مفاتيح الأمر، وأنه يملك الحقيقة الكاملة وحده، علاوة على الشبهات والأفكار المشوهة والانحرافات المعقدة والمؤامرات اليومية والإعلام الموجه.

فعلى الداعية المعاصر بين كل تلك الأمواج أن يمتلك الأدوات اللازمة لمواجهة كل هذا، والأمر لا يتوقف عند القراءات المتعددة في مجالات مختلفة، وإنما على الداعية أن يحيط بكل ما حوله من أفكار ومعلومات ومستجدات وقضايا تخص الأمة والعالم من حوله.

العلم والأرقام لغة العصر:

الإسلام دين هداية بفروعها الأربعة؛ عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات، فالقرآن ليس كتاب علوم، ولا كتاب جغرافيا أو تاريخ، ولا كتاب كيمياء، وليس مطلوباً من الدعاة أن يهرولوا لفهم كل نظرية علمية لإثبات وجودها بكتاب الله تدليلاً على صحته أو ربانية مصدره، ومع هذا، فقد أشار الله عز وجل بآيات علمية وكونية وأرقام ذات دلالات كبيرة لا يمكن التغافل عنها.

والداعية الناجح المتمرس يجب أن يفهم تلك الإشارات الربانية والمتناغمة مع الكون من حولنا، ولأن لغة العصر من حولنا اليوم لغة العلم والمادة والأرقام، فقد أصبح لزاماً على الداعية أن يؤتى بشيء من تلك العلوم، وأن تحوي ثقافته جانباً من أحدث ما وصل إليه العلم.

ومن هنا، ومن باب مخاطبة الناس على قدر عقولهم حتى تؤتي الدعوة أكلها، فيجب مخاطبة الناس والشباب خاصة باللغة التي يفهمونها، فالدين والعلم والخلق والإنسان مصدره واحد وهو الله عز وجل، فلا تعارض بين العلم المثبت المحقق والإسلام.

يقول د. زغلول النجار[1]: ولكن الله تعالى يعلم بعلمه المحيط أن الإنسان سوف يصل في يوم من الأيام إلى زمن كزمننا الراهن يفتح فيه على الإنسان من أبواب المعرفة بالكون وسننه ما لم يفتح من قبل، فيغتر بالعلم ومعطياته وتطبيقاته في مختلف المجالات وبما يوصله ذلك إلى عدد من التقنيات المتقدمة التي تغرقه في ماديات الحياة فتنسيه الموت والحساب، والآخرة، والجنة، والنار، خاصة وأن

(١) عالم جيولوجي مصري، ولد عام ١٩٣٣م، نبغ في أبحاث علوم الأرض، ودرّس في كثير الجامعات العربية والدولية، واشتهر بكتبه ودراساته وبرامجه التلفزيونية التي كرسها لكشف أوجه الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة.

هذه المفاهيم وغيرها من ركائز العقيدة قد اهترأت اهتراءً شديداً في معتقدات غير المسلمين؛ مما دفع كثيراً من علمائهم إلى إنكارها والسخرية منها.

ولكي يقيم الله تعالى الحجة على أهل عصر العلم والتقنية الذي نعيشه، أبقى لنا في محكم كتابه أكثر من ألف كونية صريحة، بالإضافة إلى آيات أخرى عديدة، تقترب دلالتها من الصراحة، وهذه الآيات القرآنية تحوي من الإشارات الكونية ما لم يكن معروفاً لأحد من الخلق في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة بعد زمن الوحي؛ مما يؤكد أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده في نفس لغة وحيه[1]، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصِّلَت:٥٣].

لقد سقطت الأمة في كثير من الملفات التي تضمن وجودها واستمراريتها، منها القوة والإعداد التي أمر الله بها عباده، لكن الدعوة باقية إلى يوم الدين، وسيظل للدين دعاة لا يفتُرون، لكن مع النشاط والهمة والحماسة يجب أن تكون لغة الخطاب تناسب المدعو، أو يكون الداعية نفسه عاملاً من عوامل النفور، وإتقان بعض لغة العلم والإعجاز القرآني سوف يكون أداة قوية من أدوات الداعية عليه أن يغذي بها ثقافته.

المذاهب الفكرية المعاصرة:

وقد تعددت المذاهب الفكرية الاجتماعية والعقدية والاقتصادية والسياسية وغيرها من المذاهب التي تتخذ الدين عدواً في منهجيتها، بل وحدث بينها وبين الشرائع السماوية كالمسيحية، على سبيل المثال، شقاق كبير، وذلك يعود لأسباب كثيرة، منها العداء القائم بالفعل بين الكنيسة والدين منذ عدة قرون؛ وذلك لموقف الكنيسة نفسها من العلم، فتكونت المذاهب ووضعت النظريات وتشكلت الجماعات

(١) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ص١٥.

لتطلق الدين للأبد ولتحدث الهوة السحيقة بين الدين والعلم.

وحين انتقلت العولمة لبلادنا حملت معها هذا العداء غير المبرر بالنسبة لنا كمسلمين، وسيظل كلام الله كما هو بغير تبديل أو تشويه إلى قيام الساعة مهما جرت المحاولات في هذا الشأن، واضطر الإنسان هناك أن يجد بديلاً يؤمن به عن الدين ليملأ به نفسه المجبولة على أن تعبد إلهاً قادراً على حمايتها، وبما أن الدين هناك يناقض العلم، فنشأت نظريات وحركات مثل الشيوعية والرأسمالية والقومية ليجد الإنسان ما يعبده من دون الله.

ويعلق على ذلك محمد قطب قائلاً: تسيطر اليوم أوروبا بكل قوتها على العالم كله، ومع السيطرة تتسرب مجموعة من الأفكار والمذاهب والمعتقدات، بل الخرافات كذلك -كخرافة الطبيعة الخالقة، والمادة الأزلية الأبدية المتطورة- فتنصب في أذهان الشعوب التي غلبت عليها أوروبا، إما عن طريق التسرب التلقائي الذي ينشأ من تقليد المغلوب للغالب، وإما عن طريق الغزو الفكري المتعمد، الذي يبثه الغالب في فكر المغلوب ليضمن تبعيته له وعدم خروجه على طاعته.

ولم تكن سيطرة أوروبا السبب الوحيد في الحقيقة لهذا التسرب التلقائي أو ذلك الغزو الفكري، إنما كان هناك سبب لا يقل أهمية عن هذه السيطرة؛ هو غياب البديل الذي يمكن أن يأخذ مكان هذه الأفكار والمذاهب والخرافات إذا تبين عدم جدارتها بالاتباع، بل الذي يحول أصلاً دون التوجه إليها واتباعها في حالة وجوده، وتعني به الإسلام؛ ذلك أن غيابه يعطي هذه المذاهب والأفكار في نفوس الناس حجية الأمر الواقع وثقل الأمر الواقع؛ أي أنها تصبح في حس الناس جديرة بالاتباع لا لجدارتها الذاتية، ولا لأنها في ذاتها صحيحة، ولكن فقط لأنها موجودة بالفعل، والبديل غير موجود[1].

(١) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص٥.

ومن غير المعقول أن يكون مطلوباً من الداعية أن يواجه تلك الأفكار الغريبة بمخاطبة العقل والمنطق وليس الوجدان الغائب أساساً، وهو لا يعلم عنها شيئاً، بل يجب عليه أن يكون ملماً بمدخلاتها، وبالرد عليها كي يكون مقنعاً لمعتنقيها دون علم أو خبرة أو لمجرد التقليد الأعمى لثقافة واردة.

دراسة الواقع المعاصر ومتابعة الأحداث الجارية:

والواقع المعاصر له فروع متعددة، منه ما يتعلق بمسائل العولمة والغزو الفكري والعلمانية ومخططات الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي والبرامج الموجهة، ومنها ما يتعلق بحال الأمة الداخلي من صراعات وحروب تكاد تشتعل بين كافة الأقطار المسلمة، وبين المذاهب القائمة فيها، وتشتيت جهد المسلمين في قضايا جانبية، بينما مقدساتهم ما زالت ترزح تحت الاحتلال.

كذلك على الداعية أن يعرف أخبار المسلمين في كل مكان خاصة في الدول التي يمثلون فيها أقلية للحديث عنهم والتعريف بهم، وكلما توسعت ثقافة الداعية في تلك المجالات؛ كان جهده أقرب للنجاح والتوفيق.

إن من أعظم المهمات على الإطلاق وظيفة الدعوة إلى الله، وإعداد الداعية لذاته كي يكون مؤهلاً للقيام بمهمته، وهي مهمة شاقة وعليه أن يحتسب وقته وجهده لله، فليعد ما استطاع للإعداد سبيلاً متوكلاً على الله تعالى.

«إنغريد ماتسون».. حينما تتحول المرأة إلى طاقة دعوية

مصطفى عاشور

لا تزال الكثير من المقاعد شاغرة لتمارس المرأة المسلمة دورها القيادي في مجال الدعوة، ورغم ذلك هناك من يظن أنها قليلة البضاعة في هذا المجال، لكن هناك نماذج لداعيات دحضن هذه الأفكار، مثل البروفيسورة أنغريد ماتسون، المختصة في علوم القرآن والفلسفة ومقارنة الأديان، وإحدى القيادات الدعوية في قارة أمريكا الشمالية.

فمنذ اعتناقها للإسلام، وهي في العشرينيات من عمرها، تحولت إلى طاقة دعوية طيلة أربعة عقود، دفاعاً عن الإسلام في المجتمع الغربي، ودعوة إليه بين الغربيين، وتعليماً للمسلمين دينهم، وتطويراً للدعاة من خلال الدورات المتخصصة، وحواراً مع أهل الأديان الأخرى وصولاً لكلمه سواء، وقيادة لأكبر المؤسسات الإسلامية في الغرب.

طريق الإيمان:

ولدت أنغريد، في ٢٤ أغسطس ١٩٦٣، بمدينة أنتاريو الكندية، لعائلة كاثوليكية، وكان والدها محامياً، وكانت أسرتها كبيرة مكونة من ٧ أطفال، وفي السادسة عشرة من عمرها، تحولت عن الكاثوليكية لتكون لا دينية، واعتنقت الفلسفة الوجودية أثناء دراستها الجامعية.

وفلسفياً شكل سؤال المعنى قلقاً للإنسان، فمنذ طرح الكاتب توماس كارلايل عام ١٨٣٤ سؤال المعنى، لم تشفِ إجابات الفلسفة ظمأ الباحثين عن معنى لوجودهم،

فكان تغييب المُقدس والإيمان، من أقوى الأسباب لزيادة القلق الوجودي، وفي ظل هذا الصراع كانت الأسئلة تتصاعد بلا إجابات في أعماقها، تقول: «لقد تعجبت تعجباً طفولياً من جمال ومجد الخلق، والشعور بالجلال، والشعور بأن الكون يعمه المعنى والهدف، وهذا حقًا ما أتى به القرآن، قبل أي شيء، كان هذا الإدراك الإلهي قبل أن يعطيني أي إرشادات محددة لكيفية عيش حياتي كمسلمة».

كانت تلك الفترة القلقة من حياتها سبباً في تحولها السريع للإسلام، واختيارها الحر للإيمان، فرأت أن الإسلام يركز على المسؤولية الإنسانية، ولا يعفي الإنسان من مسؤولية أفعاله، ورأت أن تحمل المسؤولية يمنح شعوراً بالسلام، ففي زيارة لباريس، في سنتها الأخيرة بالجامعة، التقت مع فتيات مسلمات من السنغال، وأثرن فيها تأثيراً عميقاً، لتعلن إسلامها، وهي في الثالثة والعشرين من عمرها، وأبدت تعجبها من الغربيين الذين يظنون أن الإسلام مرتبط بذوي البشرة السوداء، وقالت: «عندما ينتقل الأمريكيون من أصل أفريقي إلى الإسلام، يعتبر هذا أمرًا صحيحًا، وعندما أفعل ذلك، فإن ذلك يعتبر ردة ثقافية، كما لو أنني بطريقة ما تخليت عن بياضي لأصبح شخصاً آخر».

وبعد حصولها على البكالوريوس عام ١٩٨٧، ذهبت لباكستان وأمضت عاماً بين اللاجئات الأفغانيات، وتزوجت هناك من مهندس مصري، ثم حصلت على الدكتوراة عام ١٩٩٩ من جامعة شيكاغو في لغات وحضارات الشرق الأدنى، وتنوعت اهتماماتها الثقافية والبحثية والأكاديمية بين الدراسات الإسلامية، وحوار الأديان، فكانت أستاذة للدراسات الإسلامية والعلاقات الإسلامية-المسيحية، وشغلت منصب مديرة مركز ماكدونالد لدراسة الإسلام[1].

(١) مركز دونكان بلاك ماكدونالد لدراسة الإسلام والعلاقات المسيحية-الإسلامية، أنشئ عام ١٩٧٣ بالولايات المتحدة للدراسة الأكاديمية للإسلام وتنمية العلاقات الإسلامية-المسيحية.

بين الإيمان والتعايش:

في الرابع من سبتمبر ٢٠٠١، انتخبت أنغريد نائباً لرئيس الجمعية[١] الإسلامية لأمريكا الشمالية (إسنا)[٢]، ومع ذروة تنامي مشاعر «الإسلاموفوبيا» في الولايات المتحدة، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، سعت أنغريد لخلق مساحة يتنفس فيها المسلمون بحرية، من خلال مكافحة العنصرية المتصاعدة ضد المسلمين، ورأت فيها كراهية يجب أن تُكافح، وقالت: يبدو أن المسلمين في أمريكا اليوم فقدوا حقهم في أن يكونوا أفراداً، نحن نُعامل كجماعة/ مسؤولين كمجموعة عن أي جريمة يرتكبها مسلم آخر أو ترتكب باسم الإسلام، وطلبت من المسلمين ضرورة أن يُبدوا التزماً أكبر برفض الإرهاب والعنف الذي يُرتكب باسم الإسلام، ورأت أن الصمت مؤشر على الرضا، وأنه إذا لم يرفض المسلمون التفسيرات المنحرفة للقرآن، فإنهم بذلك يكونون قد تهربوا من مسؤوليتهم الدينية والتاريخية، ومسؤولية تحديد المعنى الحقيقي للإسلام.

وتقول عن تلك الفترة: «بذلت المنظمات الإسلامية الأمريكية جهودًا غير عادية للإعلان عن رفضها للإرهاب والتطرف باسم الإسلام؛ لقد نظمنا العرائض، وكتبنا فتاوى وأوراق مواقف، ووزعنا كتيبات، وعقدنا مؤتمرات، ونشرنا بيانات صحفية، ونُشرت مقالات رأي، وتحدثنا في الإذاعة والتلفزيون.. ومع ذلك، يسألون: لماذا لم يتحدث المسلمون المعتدلون ضد المتطرفين؟ لقد تحدثنا، لكننا لم نُسمع، لأن الأخبار الجيدة لا تحظى بتغطية كبيرة، والأسوأ من ذلك، هناك العديد من الأشخاص الذين يعارضون الإسلام، بسبب أيديولوجياتهم الدينية أو السياسية المتطرفة؛ بغض النظر عما يفعله المسلمون الواعون للعيش كمواطنين مسالمين».

(١) تضم في عضويتها أكثر من ٢٠ ألف شخص، ويتبعها أكثر من ٣٥٠ مسجداً ومركزاً إسلامياً.

(2) Islamic Society of North America – ISNA.

رفضت أنغريد أن ينزوي المسلمون في معازل خاصة، وقالت: «في الماضي، جادل العديد من المسلمين -مثل المسيحيين الإنجيليين من قبلهم- بأنه يتعين عليهم عزل أنفسهم عن السياسة والثقافة الأمريكية من أجل الحفاظ على إيمانهم طاهرًا.. إن المسلمين لم يعد لديهم هذه الرفاهية، نحن بحاجة إلى تشكيل محور للخير مع جيراننا، نحن ٢٪ من سكان الولايات المتحدة، كيف سنكون فعالين ما لم نُقم تحالفات؟!»، لذلك سعت للحوار بين الأديان، ورفعت شعار «مثقفون إسلاميون، حركات سلام إسلامية، حقوق إنسان إسلامية.. هذا نحن»، ولهذا وصفت بأنها أحد بناة الجسور في العلاقات بين الأديان، وبأنها «الصوت المسلم المثالي».

وفي ٢٣ أغسطس ٢٠٠٦، انتخبت رئيساً لـ«إسنا»، وكانت نموذجاً للمرأة المسلمة غير المهاجرة الداعية، والقائدة لمؤسسة إسلامية، وقالت عقب انتخابها: «إن المرأة يجب أن تشارك مشاركة كاملة في الحياة الإسلامية»، وظلت تشغل المنصب حتى العام ٢٠١٠.

وألقت كلمة باسم المسلمين أثناء تنصيب الرئيس الأمريكي باراك أوباما عام ٢٠٠٩.

وقد نشطت في التأليف والمحاضرات والدورات التدريبة، وتركزت كتابتها حول القرآن الكريم، ودوره في الحياة الإنسانية، وفي مجال العلاقات بين الأديان.

ومن أهم كتبها «قصة القرآن: تاريخه ومكانه في حياة المسلمين»[1]، الذي قدمت فيه شرحاً عميقاً ومبسطاً عن تاريخ القرآن الكريم، وتأثيره في المجتمع المسلم، ويعد هذا الكتاب من المؤلفات التي نجحت في تقديم القرآن بشكل موجز ووافٍ للغرب،

(١) عنوان الكتاب The Story of the Qur'an: Its History and Place in Muslim Life.

رغم أن صفحاته لا تتجاوز ٢٦٢ صفحة، وكان أهم ما يشغلها التنبيه على تأثير القرآن في إضفاء المعنى على الحياة الإنسانية، وأن الإسلام يضفي المعنى على تلك الحياة.

المرأة الداعية.. وتحديات الصورة النمطية

فاطمة عبدالرؤوف

بعيداً عن كل الضغوط والتحديات الداخلية التي تواجهها المرأة الداعية كإشكالات في الفضاء الخاص بها، بدءاً من الفتور والإحباط الذي قد يعتريها من الحين للآخر، مروراً بمسؤولية البيت وصعوبات التربية وحتى المشكلات الزوجية العادية، إضافة لضغوط العمل المأجور إن كانت امرأة عاملة، أقول بعيداً عن ذلك كله، فإن الإشكالات التي تواجهها وهي تتحدى الصورة النمطية التي تم قولبتها داخلها من أشد وأعقد الإشكالات المستحدثة، إن كان ذلك في الداخل المسلم أو في الخارج غير المسلم.

بين التربص والاتهام:

في داخل بلادنا الإسلامية والعربية وضعت المرأة الداعية في إطار المرأة المثالية التي لا يمكن لها أن تخطئ، بل المنتظر منها أن يتحول الفضل للفرض، فهي دائماً موضوعة تحت المجهر، مطلوب منها أن تكون دائماً مبتسمة، متاحة، تُؤْثر الآخرين حتى لو لم يكونوا بحاجة لهذا الإيثار.

وقد يصل الأمر لمحاولة إحراجها لا لشيء إلا لاختبار قدرتها على الصمود والتحمل، البعض يفعل ذلك بسبب نوازع شريرة داخل نفسه، فهو يريد إثبات أن الناس جميعاً سيِّئون حتى يبرر لنفسه السوء، والبعض يفعل ذلك بصورة لا واعية تحت تأثير الصورة التي قدمتها الدراما والسينما للمرأة الداعية التي تدور في سياق الشخصية المنافقة التي تظهر غير ما تبطن!

وفي إطار هذه المقاربة، يوضع أبناء المرأة الداعية تحت المجهر بحيث يبدو الخطأ الصغير منهم مجسماً، ولم لا؟ أليسوا أبناء امرأة تصدت للدعوة فلا بد أن يكون سلوك أولادها برهاناً على صدقها؟!

على أن أسوأ ما في الصورة النمطية هو وصم المرأة الداعية بعدم احترام حدود وخصوصية الآخرين، فلقد نجح تحالف التيار العلماني مع التيار النسوي على اعتبار العظة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لوناً من الاعتداء على حرية وخصوصية الآخرين، خاصة فيما يتعلق بالقضايا النسائية كارتداء الحجاب مثلاً.

ونشطت السينما والدراما في تقديم صورة المرأة الداعية التي تقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بإحدى طريقتين:

- صورة الفظة الغليظة التي تثير ضحك الجمهور (كوميديا سوداء).

- صورة المرأة ذات الدهاء التي تتقرب من ضحاياها ثم تحاول توجيههم بما يتماشى مع أجندتها الفكرية.

أما عن الخلفية النفسية للمرأة الداعية وفقاً لهذا السيناريو الذي يحاولون تمريره لطبقات الوعي العميقة لدى الجمهور فغالباً ما يتم تصوير هذه المرأة الداعية كامرأة تلقت صدمة كبيرة حولتها من امرأة عادية طبيعية لامرأة متطرفة متعصبة تحاول اقتحام حياة الأخريات، محاولة إعادة تشكيلها وفقاً لأفكارها المتطرفة.

الداعية و«الإسلاموفوبيا»:

أما التحديات التي تواجهها المرأة الداعية في الخارج وفي الغرب تحديداً، فهي ركن رئيس من ظاهرة «الإسلاموفوبيا» إن لم تكن في الصدارة المطلقة لها، نظرات التوجس التي قد تصل حد الهلع مع ارتداء الداعية لبعض صور الحجاب تستدعي

على الفور للمخيلة الصورة النمطية للمرأة «الداعشية».

وفي حالة المرأة الداعية، فإن ارتدائها للحجاب يجعلها هدفاً للاضطهاد، تقول داعية في إحدى دول أوروبا: «أذكر مرة كنت في مطار إحدى الدول الأوروبية، وكنا أربع محجبات، وقد بلغ الإرهاق بنا مبلغه، ولكننا كنا نرسم الابتسامة على وجوهنا رسماً، نحن فقط الأربع المضطرات لفعل ذلك بينما باقي من في المطار لا يتكلفون شيئاً، ويظهر الإرهاق على وجوه البعض بصورة طبيعية، لكننا كنا مضطرات لذلك؛ لأننا تحت المجهر، نلمح في عيون البعض نظرات الاتهام، صورة نمطية عن المسلمة المحجبة المكفهرة الوجه التي تشع غضباً وكراهية ونحن نريد أن ننفيها».

أثمرت «الإسلاموفوبيا» حالة من حالات العنصرية المنهجية بدرجات متفاوتة الحدة تجاه النساء الداعيات والمسلمات عموماً، لذلك اتجهت المرأة في الغرب للدعوة بطرق غير تقليدية؛ كالانضمام للنقابات والاتحادات الطلابية والمشاركة السياسية، ونحو ذلك من صور الاندماج في المجتمع؛ بهدف تغيير الصورة النمطية المرتبطة بالمرأة المسلمة، وموقف الإسلام عموماً من المرأة، لكنها واجهت صعوبات جمة وسعياً للإقصاء والتهميش بدرجات متفاوتة الحدة.

ففي بريطانيا، مثلاً، يتم تهميش المرأة المحجبة التي تسعى للحركة والاندماج واستغلالها كمجرد واجهة دعائية لتسامح المملكة، وهذا ما حدث مع راقية إسماعيل، المسلمة المحجبة السمراء التي ترأست بلدية تقع ضمن نطاق لندن الكبرى، التي أعربت بشكل واضح عن معاناتها مع «الإسلاموفوبيا» حتى إنهم منعوها من الكلام في أحد مؤتمرات حزب العمال (الأكثر تسامحاً مع الأقليات والمختلفين ثقافياً!)، لدرجة أنها بكت قبل أن تقدم استقالتها للحزب.

طبقة الداعيات:

على أننا لا يمكننا أن نتجنب النقد الذاتي الموضوعي لو أردنا حقاً تغيير الصورة النمطية السلبية التي ارتبطت بالمرأة الداعية، فهناك بالفعل في أوساط الداعيات من تمارس الاستعلاء الإيماني الفوقي على من تطلق عليهم العوام، ويشكلن ما يمكن أن نطلق عليه طبقة الداعيات.

وهناك من يغلب على خطابها الشدة والحدة، ولا تراعي اختلاف البيئة والخلفية الثقافية لمن يتوجه لها الخطاب، وهناك كثيرات يستخدمن خطاباً وعظياً تقليدياً، والحاجة ماسة لداعيات أكثر حركية وتفاعلاً على المستوى الرأسي والأفقي يبحثن عن دوائر جديدة ويحسنّ استخدام الأدوات الأكثر عصرية بطريقة معتدلة متوازنة حتى تقطع الطريق على من يحسن التلاعب بمخاوف الناس؛ لذلك فإن المقطع الذي انتشر لامرأة محجبة في مترو لندن وهي تتصدى لمتطرف مسيحي يحاول ترويع عائلة يهودية باعتبار أن ما يقوله هو كلام الرب، بينما هي تواجهه بقولها: إن القرآن يقول: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكَافِرُون:٦] أكثر فاعلية في تغيير الصورة النمطية السلبية عن كثير من المقالات والمحاضرات.

إن انخراط المرأة الداعية في الحياة العامة وهي تحمل دعوتها وتتحرك بها أكبر مغيّر للصورة السلبية النمطية عنها، نحن بحاجة للمرأة الداعية في العمل وفي الحزب وفي النقابة وعلى منصات «السوشيال ميديا» وفي الأكاديميات التربوية، وفي معارض الرسم، وفي وسائل المواصلات، تمارس دعوتها بسلوكها وبتحملها للمسؤولية وبتفهمها بالطبيعة الخاصة لكل مكان تتفاعل فيه.

لا يعني هذا أننا لا نريد من تعظ عظة مباشرة، وتأمر بالمعروف وتنهى عن

المنكر، لكننا نريد ردءاً يصدقها ويدعمها ويؤازرها ويزيح الغبار عن الصورة النمطية السلبية التي قاموا بقولبتها فيها.

فهرس الموضوعات

مقدمة ٥

سؤال الوقت: من يصلح لرسالة الدعوة في عصرنا؟.. د. عمرو نافع ٧

الداعية.. والتواصل الاجتماعي: ٧

العلوم الشرعية.. عن بُعد: ٨

إندونيسيا.. تطبيق عملي لعصرنة الدعوة: ٩

خذ الكتاب بقوة: ٩

الدعاة و«الميديا».. الطاقة الكامنة... مصطفى عاشور ١١

الدين في «الميديا»: ١١

اصنع إعلامك: ١٣

«يوتيوبر» وفقيه.. أزمة غياب الدعاة عن ساحة «الميديا».. عامر شماخ ١٦

الدعوة على الشبكة العنكبوتية: ١٦

شروط الفتوى والمفتي: ١٧

تجديد الخطاب الديني: ١٨

الواقع والعلاج: ١٩

من صفات الداعية الناجح ومقوماته في فكر الشيخ محمد الغزالي

د. وصفي عاشور أبو زيد ٢٠

أولاً: حسن الصلة بالله تعالى: ٢٢

ثانياً: إصلاح النفس: ٢٤

ثالثا: ذكاء العقل ونقاء القلب ودقة الفهم: ٢٦

رابعاً: الإخلاص: ٢٧
خامساً: الثقافة الموسوعية: ٢٨
سادساً: صفات جامعة: ٣٠
الداعية العصري.. كيف يتعامل مع الإعلام؟.. أسامة الهتيمي ٣٢
الإعلام الإلكتروني: ٣٢
مهارات النشر: ٣٣
الدعاة «الإنفلونسرز»! ٣٤
دعوة متجددة: ٣٥
العقم الدعوي أثر لجمود الداعية.. عامر شماخ ٣٧
فقه الأولويات: ٣٧
واجباتُ داعية اليوم: ٣٨
التجديدُ ضرورةٌ شرعيةٌ: ٣٨
الداعيةُ القدوة: ٣٩
الدعاة والإعلام الجديد.. بين الفرص والتحديات ..همام الطوالبة ٤١
إعلام القرية العالمية الصغيرة: ٤٢
تحديات الدعوة إلى الله في عصر العولمة: ٤٢
فرص الإعلام الجديد: ٤٣
الإعلام الإسلامي المنشود: ٤٤
الداعية الأريب في زمن «جيل الإنترنت».. عامر شماخ ٤٦
الدعاة و«الميديا».. ما يطلبه المستمعون.. مروة عبده ٥٠
فهل كان ذلك نصراً للدعوة الإسلامية؟ ٥١
ماذا فعلت «الميديا» بالدعوة؟ ٥٢
تسليع الدعوة: ٥٢

دعاة «الميديا».. بين علوّ الذِّكْر وخموله .. محمد فتحي النادي ٥٥

دعاة على أبواب جهنم! .. د. مسعود صبري..... ٦١

دعاة «مودرن»! .. منى عبدالفتاح ٦٦

مساجد «أون لاين»! .. أحمد عبدالواحد ٧٠

الداعية إلى الله.. فضائله ومقتضيات تكوينه .. د. رمضان فوزي ٧٤

صفات الداعي إلى الله وآدابه:..... ٧٥

كيفية إعداد الداعي: ٧٩

بين الخطيب المطبوع والمصنوع .. د. محمد البربري ٨٢

رسالة المسجد: ٨٢

الأسباب والحلول:..... ٨٣

الإعلام الدعوي.. الوسائل والمتطلبات .. د. محمد أحمد عزب ٨٦

أزمة كل جديد:..... ٨٨

الدور المنشود:..... ٨٩

علماء ودعاة نريد دعاة عصريين أصحاب رسالة لا حناجر .. أحمد جمال ٩١

لغة العلم والعقل: ٩٢

الداعية العصري:..... ٩٢

داعية الأقليات:..... ٩٣

الإلمام بعلوم العصر.. من أدوات الداعية الناجح..... ٩٥

العلم والأرقام لغة العصر:..... ٩٦

المذاهب الفكرية المعاصرة: ٩٧

دراسة الواقع المعاصر ومتابعة الأحداث الجارية:..... ٩٩

«إنغريد ماتسون».. حينما تتحول المرأة إلى طاقة دعوية.. مصطفى عاشور..... ١٠٠

طريق الإيمان: ١٠٠
بين الإيمان والتعايش: ١٠٢
المرأة الداعية.. وتحديات الصورة النمطية.. فاطمة عبدالرؤوف ١٠٥
بين التربص والاتهام: ١٠٥
الداعية و«الإسلاموفوبيا»: ١٠٦
طبقة الداعيات: ١٠٨
فهرس الموضوعات ١١١

المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم
AR WWW.MUGTAMA.COM
EN WWW.EN.MUGTAMA.COM